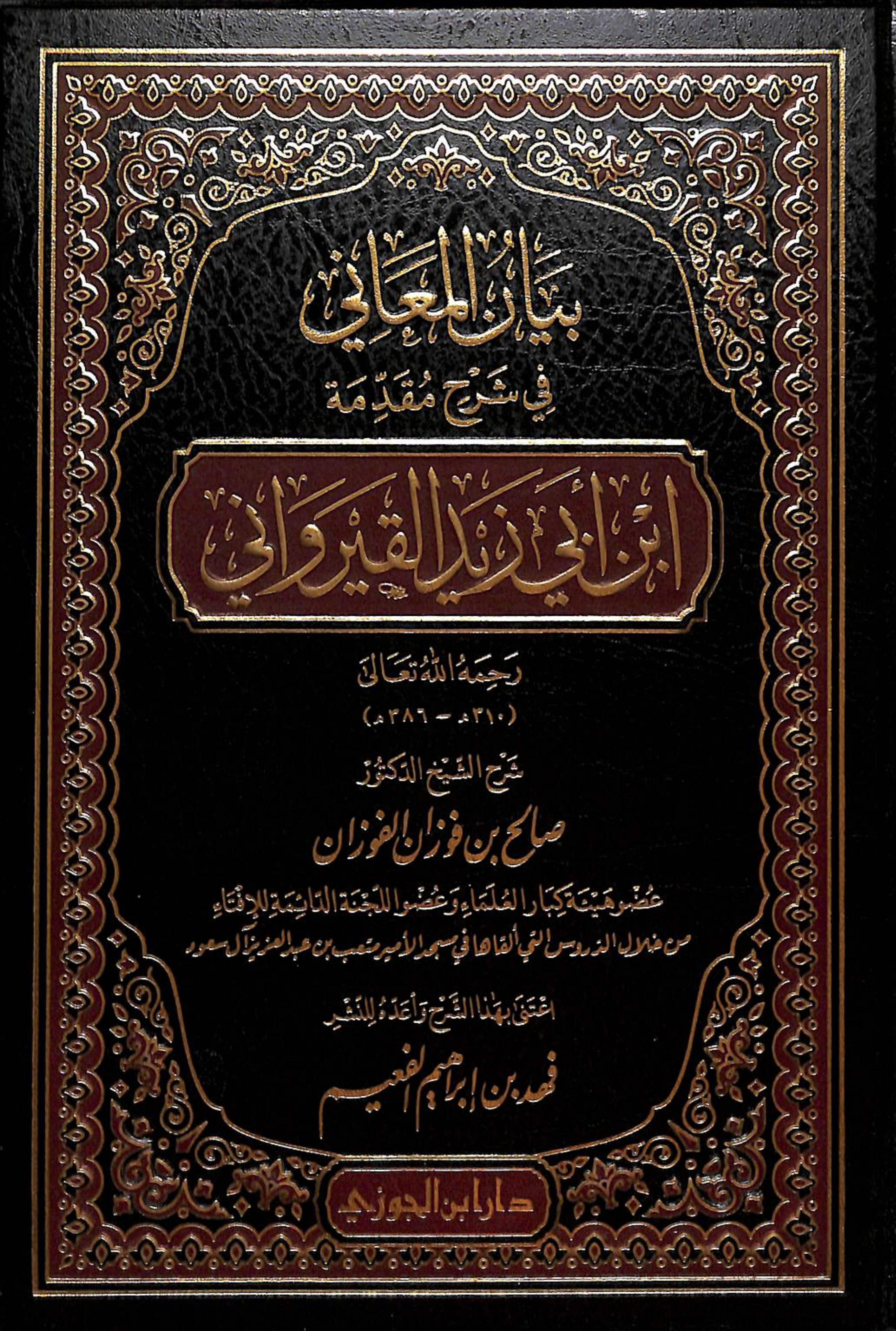
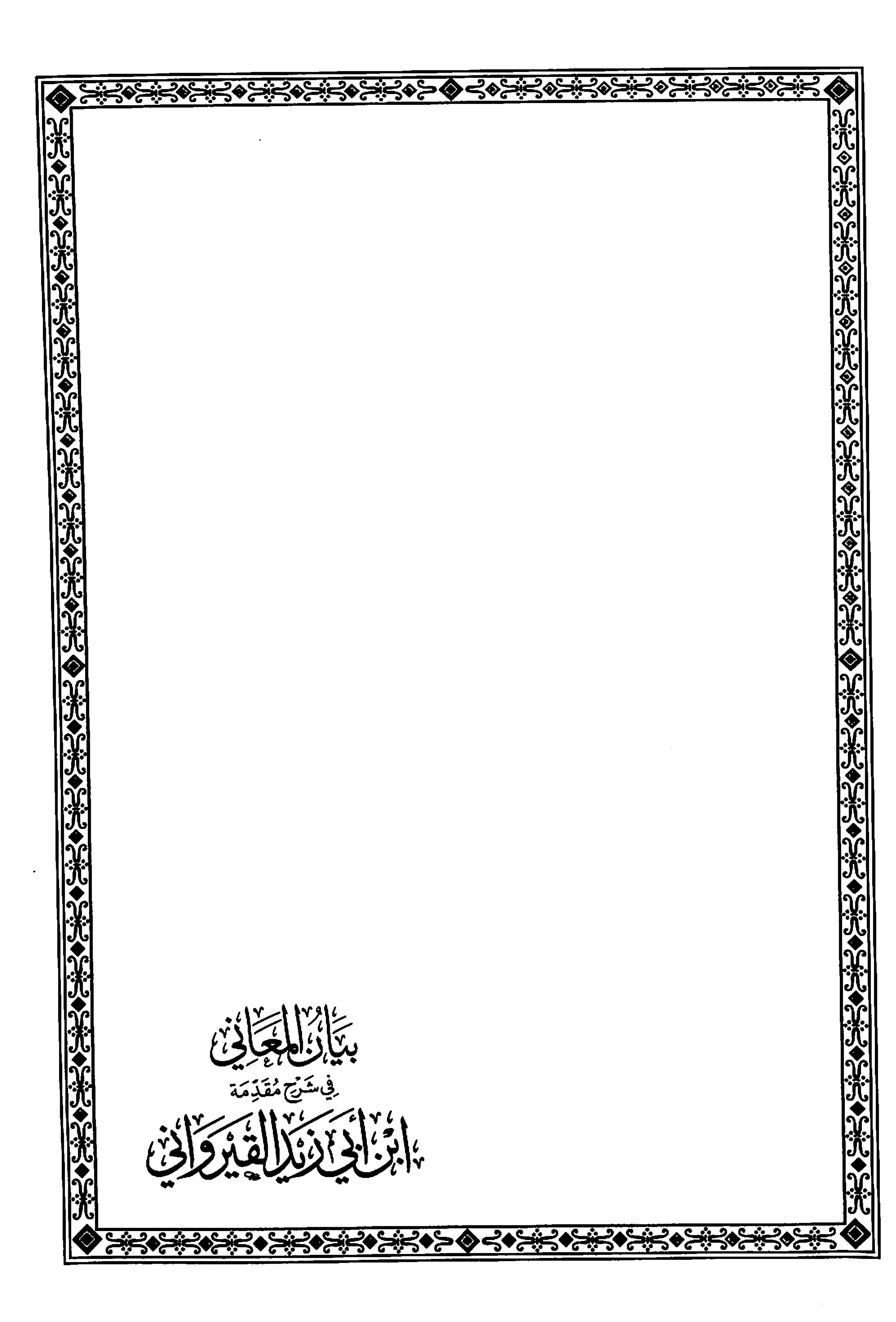
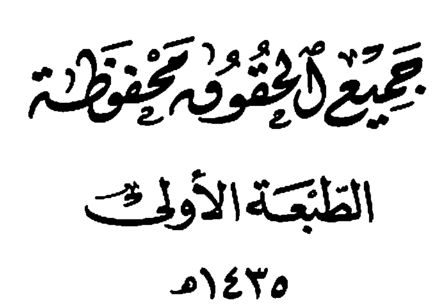


بيان المعاني
في شرح مقدمة
ابن أبي زيد القيرواني
رحمه الله تعالى
(٣١٠هـ - ٣٨٦هـ)
شرح الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
من خلال الدروس التي ألقاها في مسجد الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود
اعتنى بهذا الشرح وأعده للنشر
فهد بن إبراهيم الفعيم
دار ابن الجوزي


بيان المعاني
في شرح مقدمة
ابن أبي زيد القيرواني

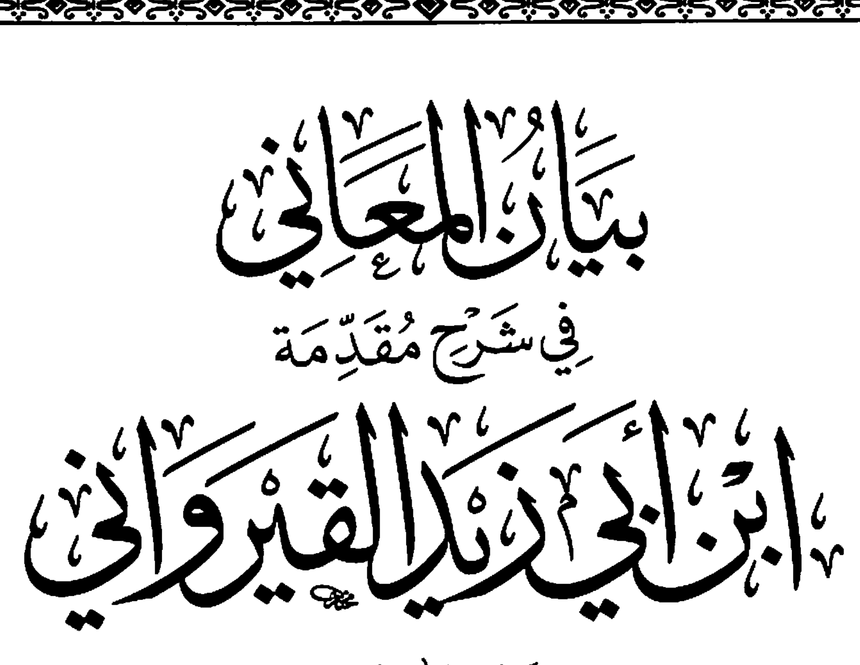




دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت
هاتف: ٨٦٩٦٠٠/٠٣ - فاكس: ٦٤١٨٠١/٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com



بيان المعاني
في شرح مقدمة
ابن أبي زيد القيرواني

رحمه الله تعالى

(٣١٠هـ - ٣٨٦هـ)

شرح الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

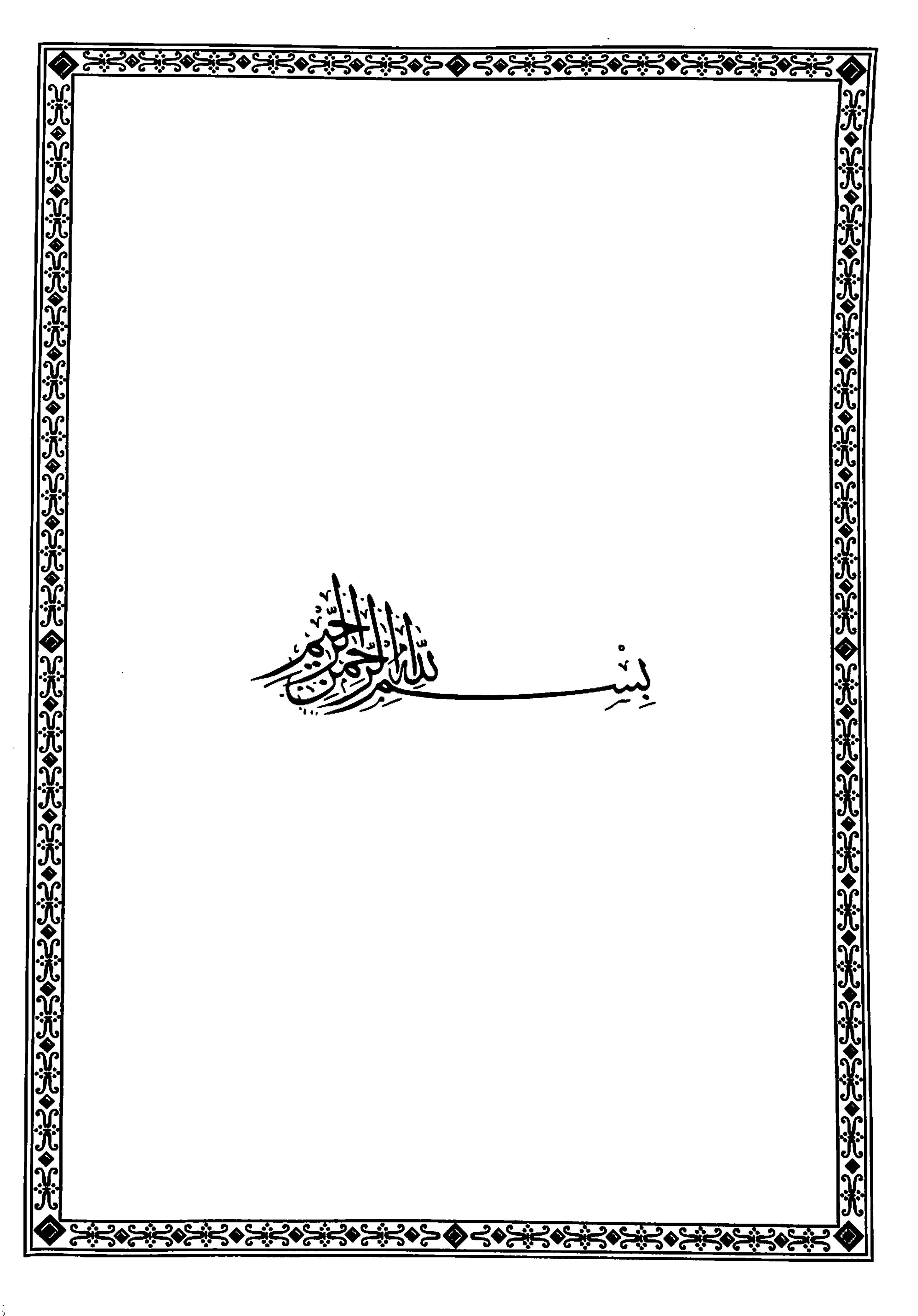
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

من خلال الدروس التي ألقاها في مسجد الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود

اعتنى بهذا الشرح وأعده للنشر

فهد بن إبراهيم الفعيم

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... **أما بعد:**

فهذا تعليق وجيز على مقدمة الشيخ الإمام/ابن أبي زيد في بيان عقيدة السلف قدَّم بها لرسالته التي ألَّفها في الفقه المالكي علقته عليها أثناء قراءتها في المسجد. وقام بإعدادها واستخراجها من الأشرطة فضيلة الشيخ/فهد بن إبراهيم الفعيم، فجزاه الله خيراً، وغفر لي وله وللشيخ ابن أبي زيد، ونفع بهذا العمل. وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

وهي مقدمة تربوية يجب أن يربى عليها طلاب المدارس ويلزمون بحفظها لأهميتها وكبير فائدتها.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
١٤٣٤/٦/٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين - أما بعد فهذا تعليق وجيز على مقدمة الشيخ الإمام:
ابن أبي زيد في بيان عقيدة السلف قدم بها لرسالته التي ألفها
في الفقه المالكي علقته عليها أثناء قراءتها في المسجد. وقام بإعدادها
واستخراجها من الأشرطة فضيلة الشيخ فهد بن إبراهيم الفهيم
فجزاه الله خيرا وغفر لي وله وللشيخ ابن أبي زيد ونفع بهذا العمل
وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وهي مقدمة تربوية يجب أن يدرس
عليها طلاب المدارس ويلزمون بحفظها لأهميتها وكبير فائدتها

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
[توقيع]
في ٢٤/٦/١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مقدمة الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي زيد القيرواني[١] على رسالته التي ألَّفها في الفقه المالكي، وجرت عادة السلف ـ رحمهم الله ـ أنهم إذا ألّفوا في الفقه يبدؤون ببيان العقيدة، ويقسمون الفقه إلى: الفقه الأكبر وهو فقه العقيدة، والفقه في الفروع وهو الفقه في العبادات والمعاملات؛ لأن أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فالركن الأول من أركان الإسلام هو العقيدة، وهي الإيمان بالأركان الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فكانوا يكتبون في بيان هذا الركن كتب العقائد الصحيحة على منهج السلف، ثم يُتبِعون ذلك بشرح الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما يتبع ذلك من المعاملات والوصايا والأوقاف والمواريث والجنايات والقضاء... إلخ، ولكن لما تأخر الزمان فصلوا علم التوحيد على حدة، وجعلوا قسم العبادات وما يتبعها على حدة، كما هو في الكتب الموجودة الآن على المذاهب الأربعة، ومن هذه المؤلفات رسالة ابن

---

(١) هو الإمام العلامة، عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، الملقَّب بمالك الصغير. كان كَلَلهُ على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأول، قال القاضي عياض: «حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخَّص المذهب»، توفي سنة ٣٨٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠ و١٧/ ١٢).

أبي زيد، ألّفها في فقه الإمام مالك ومذهبه، وبدأها بمقدمة في التوحيد، على نمط ما عليه المتقدمون من العلماء، وهذه المقدمة اعتنى بها العلماء شرحاً وتوضيحاً، وكذلك حفظاً ونظماً، لاختصارها ولأهميتها وسلامتها من الأخطاء؛ لأنها أُلفت على مذهب السلف الصالح، وشُرحت بشروح انحرف بعضها عن معانيها الصحيحة، وحوّروها إلى المذاهب المتأخرة[1]، ولكن شروحها القديمة وما جاء على نظمها من الشروح المتأخرة سليمة والحمد لله.

وكان عهد الأئمة الأربعة ومن قبلهم على منهج السلف، وكذلك تلاميذهم الذين أخذوا عنهم كانوا على مذهب السلف أيضاً؛ في الاعتقاد وفي العبادة وفي أمور الدين، إلى أن انتهت المائة الرابعة من الهجرة، فحينئذٍ دخل الدخيل على المسلمين، حيث جاءت الصوفية، وجاءت القبورية، وجاء علم الكلام والمنطق، فصار الناس - إلا قليلاً منهم - متأثرين بالصوفية، والقبورية، والتشيع، وبعلم الكلام.. إلى آخره، حتى تركوا الاستدلال بالكتاب والسُّنَّة، وذهبوا إلى الاستدلال بعلم الكلام والمنطق والجدل، ويسمون ذلك: الأدلة العقيلة والبراهين العقلية، وأما أدلة الكتاب والسُّنَّة فيسمونها: الأدلة السمعية الظنية، فهي عندهم تفيد الظن، أما علم المنطق وعلم الكلام فإنه يفيد اليقين؛ ولذلك سموها بالبراهين العقلية، ويقدمون العقل على النقل، ويقولون: إن العقل لا يخطئ، بخلاف النقل فقد يدخله شيء من ضعف السند والرواة إلى آخره، ويشككون فيها، وبنوا عقائدهم على علم الكلام.

ودخل هذا على بعض أتباع المذاهب الأربعة، فتجد الذي ينتسب إلى مذهب الشافعي - مثلاً - شافعيّاً في الفقه، ولكنه عقلي في العقيدة على خلاف مذهب الشافعي فيها، حتى يقول قائلهم (عن نفسه) أنه شافعيٌّ مذهباً نقشبنديٌّ معتقداً، فهو شافعي في علم الفقه، ولكنه في العقيدة نقشبندي أو عقلاني، وانتشر هذا فيهم حتى خالفوا عقائد أئمتهم، وأخذوا عقائد المتأخرين، وصاروا مُشكِلين مثل الخنثي المُشْكِل الذي لا يُدرى هل هو ذكر أم أنثى،

---

(١) انظر ما سطّره الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في: عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد.

فهذه آفة دخلت على المسلمين، فبنيت بسببها المشاهد على القبور، وتعلقت القلوب بالمشاهد ـ إلا من شاء الله ـ وهجرت المساجد.

ولما استولى الفاطميون ـ وهم الشيعة الباطنية ـ على مصر، وعلى غالب البلاد، وفشت الطرق الصوفية بنوا القباب على القبور وشيَّدوها، فتغيرت العقيدة عند كثير من الناس، وصار الإسلام اسماً لا حقيقة إلا من رحم الله، ولكن الله قيَّض أئمة من المجددين يدعون إلى مذهب السلف، ويبيِّنون ما في مذاهب الخلف من النقص والمخالفة، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وجماعة من المحدثين السلفيين، وهؤلاء مجددون؛ لأن الله يبعث لهذه الأمة على كل رأس مائة سنة من يجدد لها دينها كما في الحديث[1]؛ فالحمد لله أن الله يُقيِّض لهذا الدين من ينصره ويدعو إليه ويبيِّنه للناس، وإن استحكمت الظلمات، ودبّت المذاهب المنحرفة إلى المسلمين فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ يحفظ دينه ويقيض له من يجدده ويدعو إليه ويبيّنه للناس، هذا من فضل الله وإحسانه ولله الحمد؛ ولكن الانحرافات غلبت على العالم الإسلامي ـ إلا من رحم الله ﷻ ـ ومن ذلك الانحراف في العقيدة؛ حيث تركوا عقيدة السلف، وأخذوا عقيدة الخلف المبنية على علم المنطق، وعلم الكلام، بنوا عليهما عقائدهم ومؤلفاتهم التي يَدْرسونها ويُدَرِّسونها في مساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم.

وهذه المقدمة لابن أبي زيد من النمط الأول الذي هو على مذهب السلف؛ لأن المؤلف مُتقدم؛ فهو من القرن الرابع، وكان على عقيدة السلف التي درَسها على مشائخه، وتبحَّر في مذهب الإمام مالك حتى صار مرجعاً فيه، وصار يُسمى مالكاً الصغير؛ لأنه يشبه الإمام مالك في إتقانه للمذهب والعقيدة، وهو محل ثقة الناس، ومن مؤلفاته هذه الرسالة، ومقدمتها.

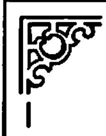
فهي مقدمة ثمينة جدّاً، وسبب تأليفها مع الرسالة أن مدرس القرآن الذي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٣).

درسه القرآن؛ طلب منه أن يؤلف رسالة في فقه الإمام مالك تكون بأيدي الطلاب ليدرسهم إياها، ويُحفظهم إياها، فكتب هذه الرسالة مع مقدمتها استجابة لمعلمه، فهذه الرسالة ومقدمتها طارت بأيدي الناس وفرحوا بها، وانتشرت وصارت تُدرس للطلبة من حفظة القرآن وغيرهم، وهذا ببركة التحقيق وصلاح النية، وليست العبرة بضخامة المؤلَّف أو كثرة المجلدات، وإنما العبرة بما في المؤلَّف من العلم الصحيح، وما في القلب من الإخلاص لله عز وجل، ولو كان المؤلَّف مختصراً، فهذه الرسالة ورقات قليلة، ومع هذا نالت هذه الشهرة العظيمة؛ نظراً لما تتضمنه من التحقيق والعلم الصحيح، ومع سلامة نية مؤلفها وإخلاصه لله عز وجل ونصحه، وهكذا العالِم المحقق يجعل الله البركة في علمه، وفي مؤلفاته ولو كانت صغيرة وقليلة.



نص مقدمة الرسالة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ[1] رضي اللهُ عنهُ وَأَرْضَاهُ:

الْحَمْدُ للهِ[2] الَّذِي ابْتَدَأَ الإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ[3]،......................

الشَّرح

[1] نسبة إلى القيروان بلدة في بلاد المغرب، وقد نشأ بها المؤلف فنُسب إليها.

[2] افتتح هذه المقدمة بالحمد لله، والثناء عليه، على نعمه العظيمة، ومنها: خلق الإنسان، الذي اعتنى الله في خلقه وتصويره؛ لأنه هيأه لمسؤولية عظيمة من بين المخلوقات؛ وهي عبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فخصَّ الله هذا الإنسان بخصائص ليست في بقية المخلوقات؛ بأن سخّر له ما في السمٰوات وما في الأرض ليستعين بذلك على عبادة الله عز وجل، فالله ـ جلَّ وعلا ـ خلق الإنسان وعلَّمه البيان، ورزقه من أنواع الرزق؛ من أجل أن يقوم بعبادة الله ـ جلَّ وعلا ـ، فالله خلق آدم عليه السلام أبا البشرية، وجعله خليفة في الأرض، وعلّمه أسماء كل شيء، وفضّله على الملائكة بالعلم، حتى اعترفوا بفضله، وأمرهم الله أن يسجدوا له لمّا امتاز عليهم بالعلم، الذي ليس عند الملائكة؛ أمرهم بالسجود له: سجود إكرام وتحية لا سجود عبادة، فسجود العبادة لا يجوز إلا لله عز وجل في جميع الشرائع، وأما سجود التحية فكان جائزاً في شرائع الأمم السابقة، ثم نُسخ في شريعة محمد ﷺ، فلا يُسجد للمخلوق، لا سجود عبادة ولا سجود تحية، وسجود يعقوب وبنيه ليوسف عليه السلام كان سجود تحية، وسجود إكرام لا سجود عبادة.

[3] خلق الله آدم عليه السلام أبا الإنسانية، فأوجده من عدم من الطين على =

. . . .

الشرح

= أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤]، وأعطاه الحواس من السمع والبصر والعقل الذي ميَّزه به من بين المخلوقات، ليَمِيزَ به الضار من النافع، والطيب من الخبيث، والخير من الشر، هذا من خصائص الإنسان؛ لأن الله أكرمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، فعلى هذا الإنسان أن يحمد الله على هذه النعمة العظيمة، ويقوم بشكرها لله عز وجل، ويقوم بما أوجب الله عليه من العبادة لربه عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، وهل الله تبارك وتعالى بحاجة إلى العبادة؟ ليس بحاجة إليها، لكن العبد هو الذي بحاجة إلى العبادة من أجل أن تصله بالله، وأما الله ـ جلَّ وعلا ـ فهو غني عن العباد، فلو كفروا كلهم ما نقصوا من ملكه شيئاً، ولو أطاعوه كلهم ما زاد ذلك في ملكه تبارك وتعالى شيئاً، وإنما ضرر هذا أو نفعه راجع إليهم هم، فأمرهم بعبادته ليكرمهم بذلك، وليتصلوا به تبارك وتعالى، ولو كفروا كلهم ما ضره ذلك، ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ولو صلحوا كلهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، كما في الحديث القدسي؛ أن الله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً ... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»[1]، =

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وَصَوَّرَهُ فِي الأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ[١]، وَأَبْرَزَهُ[٢] إِلَى رِفْقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ[٣]، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ[٤]، ....

الشَّرح

= من نعمه سبحانه على هذا الإنسان أنه خلقه على أحسن صورة وأحسن تقويم، وسخَّر له ما في السمٰوات وما في الأرض.

فهذه المخترعات من المراكب والاتصالات..، كلها لخدمة هذا الإنسان لا ليطغى بها ويتكبر ويتجبر أو يستخدمها في تدمير البشرية؛ وإنما خلقها ليستعين بها على طاعة الله، وعلى نفع خلق الله، ولا يجوز للإنسان صناعة المخترعات المدمرة والأسلحة المهلكة للبشرية، وإنما يصنع الآلات المعينة على عمارة هذا الكون ونفع البشرية.

[١] **كما قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]؛ **أي**: أرحام النساء، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ [الزمر: ٦]، والظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي على الطفل، فمن الذي أوصل إليه هذا التدبير في هذه الظلمات؟ الله ﷻ، بواسطة المَلَك الذي يرسله إلى الجنين وهو في بطن أمه، ويأمره ﷻ بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ومن الذي يمده في الحياة وهو في هذه الظلمات؟ من الذي يُنمِّيه؟ من الذي يُغذيه وهو في هذه الظلمات؟ هو الله ﷻ.

[٢] **أي**: أخرجه من بطن أمه **(إلى رِفْقِهِ)** إلى رفقه به ﷻ ورأفته ورحمته به، حيث سخَّر له الأبوين وحنَّنهما عليه وهو لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، فلا يدفع عنها ضرراً ولا يجلب لها رزقاً.

[٣] **قال تعالى:** ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٧، ٥٨].

[٤] **قال تعالى:** ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤]، فعلَّم الإنسان ما لم يعلم.

وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ عَظِيماً[١]، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ[٢]، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخِيَرَةِ مِنْ خَلْقِهِ[٣]، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ[٤]،

الشَّرح

[١] **قال الله لنبيه ﷺ**: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، فالله هو المعلِّم للإنسان، وكان الرسول ﷺ يشكر الله ويقول في دعائه: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(١).

[٢] **أي: نبه الإنسان**، ليستدل بآياته الكونية على قدرة الله ﷻ، حينما ينظر في السمٰوات، وفي الأرض، وفي النجوم، وفي الجبال، وفي الشجر، وفي البحار والبراري، والحيوانات...، فإن ذلك يدلُّه على عظيم قدرة الله ﷻ، الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة.. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، فالآيات تنقسم إلى قسمين:

الأول: آيات كونية، وهي المخلوقات.

الثاني: آيات الوحي، ومنها القرآن الكريم.

[٣] الله لم يَكِلْ هذا الإنسان إلى علمه وإلى ما أعطاه من الإدراك، بل أرسل إليه الرسل لتبيِّن له كيف يعبد ربه، وكيف يتصرف على وفق ما شرعه الله ﷻ، فالرسل نعمة من الله ﷻ، وبدون الرسل لا يستطيع الإنسان، ولو كان فيه محبة للخير لكنه عاجز، فالله ـ جلَّ وعلا ـ أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب؛ ليُبيِّن له كيف يعبد ربه، وهذا من رحمة الله ﷻ، وعنايته بهذا الإنسان، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فخير الخلق هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

[٤] الرسل بيَّنت، والكتب الإلٰهية بيَّنت، ولكن هداية التوفيق بيد الله. =

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ[١]، ....

الشَّرح

= فالهداية على قسمين:

الأول: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه حاصلة لكل أحد؛ لأن الله دلَّ العباد على ما فيه الخير وأمرهم باتباعه، ودلَّهم على ما فيه الشر ونهاهم عن اتباعه.

الثاني: هداية التوفيق، وهي خاصة بالمؤمنين الذين قبلوا الحق ورغبوا فيه وعملوا به؛ ولهذا قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]؛ **أي**: لا تهديه هداية التوفيق. وأما الهداية العامة ـ هداية الدلالة والإرشاد ـ فهي حاصلة لكل أحد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢، ٣]؛ **أي**: دللناه على الخير والشر، هذه هداية البيان والإرشاد، وهي حاصلة لكل أحد، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فالرسول يهدي أيضاً؛ **يعني**: يبيِّن ويدلُّ الخلق على الخير. وأما هداية القبول فهذه من الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ...﴾ [القصص: ٥٦]، فالله أثبت للرسول ﷺ أنه يهدي، ثم نفى في آية أخرى أنه يهدي، والجمع بين الآيتين أن تكون الآية الأولى في هداية الدلالة والإرشاد، وتكون الآية الثانية في هداية التوفيق والقبول، وهذه من الله سبحانه وتعالى.

[١] **فالذي يقبل الحق ويرغب فيه**؛ فالله يوفقه بفضله، والذي يعرض عن الحق ولا يقبله؛ فالله يضله سبحانه وتعالى بعدله جزاءً له، فهو يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، فالذي لا يقبل الحق يحرمه الله عز وجل، وهذا عدل من الله وليس ظلماً؛ لأنه هو الذي لم يقبل الحق، ولا يريد الحق، ويتكبَّر على الحق، فالله ـ جلَّ وعلا ـ لا يهديه هداية التوفيق؛ جزاء وعقوبة له، وما ظلمه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف: ٥]، =

وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى[١]، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرَى[٢]، فَآمَنُوا بِاللهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ

الشَّرح

= وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، فالإنسان إذا لم يقبل الحق ابتلاه الله بالباطل، وإذا لم يقبل الهدى ابتلاه الله بالضلال.

[١] **قال تعالى:** ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الأعلى: ٨]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، فالسبب من عند العبد، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ هذا هو السبب الذي من عند العبد، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ هذا هو التوفيق من الله، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾، هذا هو السبب من قِبَل العبد، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]، هذه هي العقوبة من الله ﷻ، حيث لم يقبل الحق، ولم يعمل الأسباب التي بها يهديه الله ﷻ، وفي الحديث: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١).

[٢] **فإذا أراد الله للعبد هداية القبول والتوفيق؛ أي:** شرح الله صدره لقبول الدعوة إلى الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فيتقبل الحق ويرغب فيه، فيوسع الله صدره للإسلام، وهذه إرادة كونية، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ هذه إرادة كونية، ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فلا يقبل شيئاً ولا يحب الخير، وينفر من الخير وينفر من أهل الخير ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] من ضيق الصدر ـ والعياذ بالله ـ فهم يتضايقون من الحق، ومن الدعوة إلى الله، ومن قراءة القرآن ومن الموعظة ومن التذكير؛ لأن الله ضيَّق صدورهم؛ بسبب إعراضهم عقوبة لهم وحرماناً لهم من الهداية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩).

عَامِلِينَ[١]، وَتَعَلَّموا مَا عَلَّمَهُمْ[٢]، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ[٣]، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ[٤].

الشَّرْح

[١] **هذه نتيجة هداية التوفيق؛ أنهم نطقوا بألسنتهم بقبول الحق،** واعتقدوا بقلوبهم، فلا يكفي النطق باللسان، بل لا بد مع النطق باللسان اعتقاد القلب، وأما نطق اللسان بدون اعتقاد القلب فهذه طريقة المنافقين، وأما المؤمنون فهم يقبلون الحق **(بألسنتهم ناطقين)** بأن يقولوا: آمنا بالله، ويقبلونه **(بقلوبهم مخلصين)** فلا بد من النطق باللسان بقبول الحق، ولا بد من الإخلاص في القلب، فلا يكون رياء ولا سمعة، ولا مصانعة ولا نفاقاً.

فتنطق بلسانك وتصدق بقلبك وتعمل بجوارحك، هذه حقيقة الإيمان خلافاً للمرجئة في مذاهبهم الضالة.

[٢] **لا بد من تعلم الكتاب والسُّنَّة،** وفهمهما على مراد الله ورسوله، أما من أعرض عن العلم فإنه يحرم من الهداية؛ لأن من أسباب الهداية: تعلم العلم النافع والعمل به، والإقبال عليه، وهو العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ، أما المُعرض عن تعلم العلم فإنه يُحرم الهداية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، والإعراض عن الحق وعدم الإصغاء إليه وعدم قبوله هو الذي يسبب الضلال والانحراف.

[٣] **من صفات أهل السُّنَّة والجماعة:**

أولاً: أنهم يقفون عند حدود العلم، فما علموه قالوا به، وما لم يعلموه توقفوا عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ أي: لا تتخرص ولا تقل على الله ما لا تعلم، بل قف عند حدك، فما علمته من العلم النافع فتكلم به، وأَفْتِ به، وما لم تعلمه توقف عنه حتى تتعلمه، هذه طريقة أهل الإيمان.

[٤] **ثانياً: من صفاتهم أنهم يستغنون بالحلال عن الحرام،** وبالطيبات =

أَمَّا بَعْدُ:

أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ[١]، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ.

فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي[٢] أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ

الشَّرح

= عن الخبائث في مطاعمهم وملابسهم ومشاربهم ومناكحهم، فيقتصرون على ما أحلَّ الله لهم ويتجنبون ما حرَّم الله عليهم، قال تعالى في وصف الرسول ﷺ أنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

[١] الدين وديعة عندك وأمانة عندك، وهو الأوامر والنواهي والحلال والحرام، ودائع وأمانة ائتمنك الله عليها، وهي الأمانة التي عرضها الله على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فالله عرض هذه الأمانة؛ أي: أمانة التكاليف والأوامر والنواهي؛ عرضها على السمٰوات والأرض والجبال عرض تخيير لا عرض إلزام، فآثرت السلامة على الغنيمة، ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، خفن من تحملها، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وآدم وذريته آثروا الغنيمة على السلامة لجهل الإنسان؛ أي: جنس الإنسان وظلمه؛ ولهذا قال في الآية التي بعدها: ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، فبنو الإنسان أمام هذه الأمانة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من تحمَّلها ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون والمؤمنات.

القسم الثاني: من أبى تحملها ورفضها ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات.

والقسم الثالث: من تحملها ظاهراً وضيَّعها باطناً، وهم المنافقون والمنافقات.

[٢] يخاطب المؤلف مُعلمه الذي يعلمه القرآن، وهذا فيه بيان سبب =

الدِّيَانَةِ مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ[١]،

الشَّرْح

= تأليف هذه الرسالة ومقدمتها، فالرسالة في فقه مذهب الإمام مالك، والمقدمة في بيان العقيدة الصحيحة، فهو يذكر أن سبب تأليفه: أن مدرِّسه لما رأى من نجابته وذكائه وإلمامه بمذهب الإمام مالك؛ طلب منه أن يؤلف مختصراً في الفقه على مذهب الإمام مالك؛ ليلقنه للطلاب الذين يدرسون عنده؛ لأجل أن يجمعوا بين حفظ القرآن، وحفظ العقيدة والفقه في الدين، وهكذا كانت طريقة السلف الصالح أنهم يلقنون الأولاد من الصغر، ويعلمونهم العقيدة والفقه حتى ينشؤوا على ذلك؛ لأن الصغير أحفظ لما يُلقى إليه أكثر من الكبير، فالكبير ينسى، أما الصغير فإنه ينتقش العلم في ذهنه؛ ولهذا يقولون: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فهم يحرصون على تعليم الصغار؛ لأجل أن يترسخ ذلك في أذهانهم ويثبت فيها وينشؤوا عليه، وهكذا ينبغي للمسلمين في عموم الأوقات أن يعتنوا بصغارهم ويلقنوهم العقيدة والفقه؛ بخلاف ما ينادي به التربويون الغربيون اليوم من قولهم: إن الصغار لا يُذكر لهم شيء من أمور الدين؛ لأنهم لا يتحملون ذلك، فهذه مكيدة لأجل أن ينشأ أولاد المسلمين على الجهل بدينهم وعقيدتهم؛ فينبغي التنبه لهذا، وكان المسلمون إلى عهد قريب في المدارس الابتدائية تقرر فيها المختصرات في الفنون ويحفظها الطلاب الصغار، وتُشرح لهم، إلى أن جاءت التربية الحديثة وتولى التغريبيون التعليم، فمسخوا مناهج التعليم وجعلوها اسماً بلا مسمى، مُفرّغة من مضمونها، فعندهم اسم العقيدة، واسم الحديث، واسم الفقه، أسماء مجردة، وليس فيها شيء، فهذا من الغش في تعليم أولاد المسلمين حتى ينشؤوا جهلة بدينهم وعقيدتهم.

[١] **العقيدة ثلاثة أركان:** قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا يكفي واحد منها أو اثنان فقط، بل لا بد من هذه الثلاثة.

وقد أجمل المؤلف ما تشتمل عليه هذه الرسالة ومقدمتها من بيان العقيدة =

وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ[١]؛ مِنَ السُّنَنِ[٢] ....

الشَّرْح

= وأقسام العبادات من واجبات ومستحبات وآداب عامة وأصول الفقه، لينشأ الصبيان على معرفة الإيمان وحقيقته على شكل (جملة مختصرة) فينبغي أن يُلقن الصغار المتون المختصرة؛ لأنها مدخل إلى العلوم، فهي الأصول؛ ولهذا يقولون: من حُرم الأصول حُرم الوصول، والأصول هي: المختصرات من حرم منها حُرم الوصول إلى العلم النافع، فالمبتدئ صغيراً كان أو كبيراً لا يُبتدأ له بالمجاميع الكبار من مجاميع العلم، فيقرأ في البخاري وفي مسلم وفي المغني وفي كتاب سيبويه، بل المبتدئ يُتدرج معه في العلم شيئاً فشيئاً، أما أن تأتيه بالمطولات والمفصلات فهذا تعب بلا فائدة، ولا يأخذ من العلم شيئاً؛ لأنه يسير على غير طريق التربية الصحيحة وأتى العلم من غير بابه، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فالمبتدئون يُلَقّنون الواجبات فقط، ولا يؤتى لهم بالتفريعات والتفصيلات، وإنما يلقنون الواجب من أمور دينهم؛ فإذا ما تجاوزوا مرحلة البداية فإنه يُتوسّع معهم في التعليم، وهو ما يسمى بالتخصص، فيُبين لهم الأقوال والأدلة والترجيحات، بعدما يدخلون من باب العلم ويحصلون على المبادئ، فيُتدرج معهم شيئاً فشيئاً من الكتب المختصرة، إلى الكتب المتوسطة، إلى الكتب المطولة، هكذا يكون تعليم العلم، وهذه طريقة التربية الصحيحة.

[١] **الطاعات تنقسم إلى**: واجبات، ومستحبات.

[٢] **السُّنَّة إذا أطلقت يراد بها**: ما ثبت عن الرسول ﷺ من عقيدة وعبادة، وتطلق العقيدة ويقال لكتبها كتب السُّنَّة؛ ككتاب (السُّنَّة) لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب (السُّنَّة) لابن أبي عاصم، وكذلك تسمى كتب الإيمان، مثل كتاب (الإيمان) لابن منده وغيره. =

مِنْ مُؤَكَّدِهَا وَنَوَافِلِهَا وَرَغَائِبِهَا[١]، وَشَيْءٍ مِنَ الآدَابِ مِنْهَا[٢]، وَجُمَلٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُنُونِهِ[٣] عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٤] وَطَرِيقَتِهِ[٥]، ....

الشَّرْح

= وأما السُّنَّة في اصطلاح المُحَدِّثين: فهي ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

[١] **السنن بهذا المعنى العام تختلف**، منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، والمستحب منه ما هو مؤكد، ومنه ما هو دون ذلك، مثل الرواتب التي مع الفرائض، ومثل صلاة الوتر، وصلاة الضحى. وسنن مقيدة بأوقات مثل دخول المسجد، وصلاة الضحى، وسنن مطلقة في جميع الأوقات ما عدا أوقات النهي.

[٢] **أي**: من السُّنَّة ما هو من الآداب العامة.

[٣] **المراد بأصول الفقه**: قواعد الاستنباط من الأدلة، وبيان الأحكام من الحلال والحرام والواجب، والمستحب، والمكروه، والمباح.

وأما قواعد الاستنباط من الأدلة: فالأمر للوجوب، أو الاستحباب، أو الإباحة، والنهي يكون للتحريم، أو للكراهة.

[٤] **مالك بن أنس عالم المدينة**، وإمام دار الهجرة، ومذهبه أحد المذاهب الأربعة، والمؤلف مالكي المذهب، ولذلك جعل هذه الرسالة على مذهب المالكية، هذا من جهة الفقه، وأما العقيدة فعقيدة الأئمة الأربعة واحدة هي عقيدة السلف لا اختلاف بينهم فيها.

ومذهب الإمام مالك بن أنس انتشر في المغرب والأندلس، وأفريقيا، وهو مذهب أهل المدينة.

[٥] **هذا ليس تحيزاً للإمام مالك** رَحِمَهُ اللهُ دون غيره من الأئمة، ولكن لأن أهل المغرب ـ والمؤلف منهم ـ وهم على مذهب مالك، ناسب أن يبيِّن =

مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ الْمُتَفَقِّهِينَ[١]؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ[٢] مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ[٣]؛ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ[٤]

الشَّرح

= لهم مذهب مالك في العقيدة وغيرها على مذهب مالك.

[١] **هذا المختصر سهل**، ليس فيه تعقيد يصعب على الصغار وطلاب العلم فهمه، بل يكون ميسراً وواضحاً، وهكذا طريقة أهل العلم السابقين، تجد مؤلفاتهم سهلة، فالعلم يجب أن يَسْهُل بيانه ولا يُعقد على طلبة العلم مهما أمكن ذلك.

[٢] **يخاطب مُعلِّمه**، بأنه أجاب طلبه في تأليف هذه الرسالة ومقدمتها، فقد طلب منه أن يؤلف هذا المختصر ليلقنه للولدان الصغار الذين يدرِّسهم القرآن، فيكون تعليمهم شاملاً للقرآن وللفقه، وهذا من أحسن طرق التعليم، أن تُراعى فيه المدارك بالتدرج بالمتعلم من صغار المسائل ومبادئ العلوم ومختصراتها.

[٣] **فكما أنهم يعلِّمون القرآن يعلِّمون الفقه**؛ ليجمع بين تعليم القرآن وتعليم الفقه والعقيدة، هذا أحسن طرق التعليم وأتم طرق التربية.

[٤] **أي**: ليفهموا دين الله وهم صغار، فلا يقال: اصبروا عليهم حتى يكبروا، فينبغي أن يُستغل وقتهم وسنُّهم وتركز فيهم أمور الدين، وأمور العقيدة والفقه، أما إذا كبروا؛ انشغلوا وانصرفوا عن تعلم العلم، فالصغير ليس مثل الكبير، الصغير أقبل للتعليم، والرسول ﷺ كان يعلم الصغار كما يعلم الكبار، يقول لعبد الله بن عباس ـ وكان طفلاً صغيراً ـ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ** =

مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ[١]، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ[٢].

وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ[٣]، ....

الشَّرْح

= **إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»**(١)، وكذا قال لعمر بن أبي سلمة وكان ربيباً عنده عندما جلس ليأكل كانت يده تطيش في الصَّحْفَةِ فقال له: «**يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٢)، يعلمه آداب الأكل: أن يسمي الله، ويأكل بيمينه، ويأكل مما يليه لا مما يلي غيره ممن بجانبه، فيعلم الأطفال؛ لأنهم أقبل للتعليم من الكبار.

[١] ولأنهم إذا تعلَّموا وهم صغار صار العلم مباركاً عليهم، وأثَّر فيهم أكثر من الكبار؛ لأنه نشأ معهم وانغرس في قلوبهم وأذهانهم؛ ولذلك تجد الأولاد الذين يُنَشَّؤون على الصلاة وعلى معرفة أحكام عقيدتهم ودينهم تجدهم أحسن الشباب إذا كبروا، ولكن إذا تركوا وأهملوا صعبت على والديهم تربيتهم؛ كما قال الشاعر:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين إذا كانت من الخشب

فبادر الطفل وهو غض، ليمكن تعديله، أما إذا كبر فلا تقدر أن تعدله.

[٢] يقول لشيخه ومعلِّمه أجبتك إلى ما طلبت وألَّفت هذه الرسالة ومقدمتها، رجاء الثواب من الله لي ولك؛ لأن من دلَّ على الخير فهو كفاعله، ومُعلمه يشترك معه في الثواب؛ لأنه هو الذي علَّمه ذلك ووجهه إليه.

[٣] القلوب التي تتنبه للتعليم النافع هي خير القلوب، أما القلب القاسي، والقلب الذي لا يقبل التعليم فهذا محروم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦).

وَأَرْجَى الْقُلوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ[١]، وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ[٢]؛

الشَّرْح

[١] أي: أرجى القلوب للخير ما كان خالياً من الشر الذي لم يوجه توجيهاً سيئاً، وفي وقتنا الحاضر الذي لم ينشغل بهذه المُحدثات، وهذه الآليات التي تجلب الشر من الإذاعات والتليفزيون والإنترنت، وغير ذلك من البلاء الذي انفتح على الناس وصار بيد الطفل والطفلة، وبيد كل أحد، فهذه وسائل شر، سبقت إلى قلوب الشباب ولا يمكن بعد ذلك صرف الشباب عنها، ولكن لو مُنعت منها في الأول صارت قلوبهم قابلة للخير خالية من الشر، فيجب ملؤها بالخير وإبعادها عن الشر، قال الشاعر:

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيجب التنبه لهذه الأمور، والمصيبة أن يسبق الشر إلى القلب فيصعب انتزاعه من القلب، فاحفظ أولادك واحفظ طلابك من وسائل الشر وما أكثرها اليوم، وما أقل وسائل الخير؛ فالخطر شديد الآن على شباب وشابات المسلمين؛ لأن وسائل الشر قد انتشرت وصارت بأيديهم.

[٢] أولى ما يعمله الناصحون والمعلمون والدعاة إلى الله: أن يعتنوا بشباب المسلمين ويوجهوهم الوجهة السليمة ويبعدوا عنهم المشاحنات والحزبيات ومدح فلان وذم فلان، فيبعدون عنهم هذه الأمور التي شغلت أكثر الشباب اليوم، ماذا تقول في فلان؟ وهل أنت من تلاميذ فلان؟ هذا شُغلهم الآن، وهذا لا يصلح يا عباد الله، فيجب أن يُخلص المعلمون في تعليم طلابهم ويبعدوهم عن هذه المشاحنات والفتن والاختلافات، ويلزموهم طريقاً واحداً وهو طريق أهل العلم، وطريق السلف الصالح وينشؤوهم عليه، هذا هو الواجب على المعلم الذي يعلّم التعليم النافع، أما الذي يعلم الطلاب هذه الأمور؛ فهذا يفتنهم وما أكثر من يقومون بهذا في المدارس وفي غيرها، تجد همَّهم: ماذا تقول في فلان، احذر من فلان، لا تجلس مع فلان، ويترك شرح =

لِيَرْسَخَ فِيهَا[١]، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا[٢]، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ[٣] ....

الشَّرح

= المقرر الموكول إليه شرحه ليعرف الطالب الطريق الصحيح من غيره وذلك: (**بإيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين**) هكذا يجب أن يكون المعلِّم والداعية إلى الله؛ يكون قصده إيصال الخير إلى قلوب المؤمنين وأبناء المسلمين، ولا يشغلهم بالخلافات مما هو منتشر اليوم في شباب المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيجب الاهتمام بأولاد المؤمنين الصغار، بأن يوجهوا الوجهة السليمة، الوجهة الواحدة وجهة الكتاب والسُّنَّة وما عليه سلف الأمة.

[١] **الصغار يرسخ العلم في قلوبهم**، وهذا شيء مُجرب، فما تعلمناه في الصغر نتذكره الآن، وما نقرؤه الآن يطير بسرعة ولا يستقر؛ لأن الكبير ليس كالصغير.

[٢] **فطُرق الديانة الصحيحة** ما كان على الكتاب والسُّنَّة؛ لأن الديانات كثيرة؛ ولكن الديانة الصحيحة هي ما كانت على الكتاب والسُّنَّة وما عليه سلف هذه الأمة، فنرسخ هذا في قلوبهم، ونحفِّظهم هذه الأصول لينشؤوا عليها، ويسيروا عليها إذا كبروا.

فتراض النفوس على الخير، كما تراض الأبدان؛ بأنواع الرياضة والمشي وغير ذلك.

[٣] **أي**: يعلِّم الصغار ما يجب عليهم أن تعتقده قلوبهم من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة المبنية على كتاب الله، وسُنَّة رسوله، لا من قول فلان وعلان وعلم المنطق وعلم الكلام والهذيان، بل التعليم يكون من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، وهذا سهل بإذن الله، وفيه نور وبركة وخير، أما علم المنطق وعلم الكلام والجدل فهذا يُظلم القلوب، والذين تخصصوا فيه لم يحصلوا على خير، بل إنهم في آخر حياتهم تمنوا أنهم لم يشتغلوا فيه، =

وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ[١]، فَإِنَّهُ رُوِيَ[٢] أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ.

وَقَدْ مَثَّلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ بِحِفْظِهِ[٣]، وَيَشْرُفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

الشَّرْح

= وأنهم أخذوا بعلم السلف، كما ذكر هذا في سيرهم وتاريخهم.

[١] العمل: عمل القلوب أولاً، ثم عمل الجوارح، فالعمل على قسمين: عمل القلوب من خشية الله، والخوف منه، والرغبة إليه، ومحبة الله، وعمل الجوارح تابع لعمل القلوب؛ كالصلاة والصيام والحج والجهاد.

[٢] قوله: (فإنه رُوي)؛ أي: عن الرسول ﷺ **(أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله)**(١) وكلمة (روي) تدل على التضعيف فهو حديث ضعيف لكن معناه صحيح؛ فالله يرضى أن نعلم صغارنا القرآن. وهذه المقدمة تربوية، تتضمن قواعد التربية الصحيحة لا التربية الغربية التي ينادي بها العلمانيون الآن.

[٣] **يقول لشيخه: (وقد مثَّلت لك من ذلك ما ينتفعون ـ إن شاء الله ـ بحفظه)؛ يعني**: ذكرت في هذه الرسالة وفي مقدمتها ما إذا حفظه الطلاب وفهموه فإنهم ينتفعون به، وينالون به شرف العلم والعمل والسعادة إذا اعتقدوه وعملوا بموجبه بخلاف كتب العقائد الفارغة من بيان اعتقاد السلف؛ كعقائد المتكلمين المتكلفين.

---

(١) لم أجده في كتب السُّنَّة المعتبرة ومصادرها، وهو في مسند الربيع (٢٥)، وهذا المسند فيه ما فيه؛ ولا يخفى كلام أهل العلم عنه، والمؤلف هنا رحمه الله ساقه بصيغة (روي)؛ فكأنه لم يثبت عنده.

وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ[١]، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ[٢]..

الشَّرْح

[١] قال ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ**»؛ أي: الصغار، مجرد أمر، «**بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ**»؛ لأن ابن سبع ميّز وعرف، «**وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ**»؛ أي: إذا تكاسلوا عنها وهم في سن العاشرة؛ لأنه حينئذ إما مراهق وإما قد بلغ الحلم فيُضرب عليها، أما الطفل الصغير إذا تَرَك الصلاة فلا يُضرب لأنها لا تجب عليه، ولكن يُربى عليها، ثم قال: «**وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١)؛ أي: فلا تتركوهم ينام بعضهم إلى جنب بعض، خشية الافتتان ودبيب الشهوة بينهم والشيطان يزين لهم ذلك، ذكوراً وإناثاً، فالذكور مع الذكور لا يُتركون ينام بعضهم إلى جانب بعض، فلا تترك البنت تنام مع البنت ولا الذكر مع البنت مباشرة، فيُفرق بينهم في المضاجع؛ خشية الفتنة، فالأولاد يُلاحظون ولا يُهملون.

فهذه ثلاث مسائل مهمة:

١ ـ يؤمرون بالصلاة، مجرد أمر لأجل أن يعتادوها، وتكون لهم نافلة، وإذا تركوها لا يضربون؛ لأنهم لم يتركوا واجباً في حقهم، ومن لازم أمرهم بالصلاة أمرهم بالوضوء وتعليمهم إياه.

٢ ـ إذا بلغوا العشر فإنهم يضربون على تركها؛ لأنهم إما أن يكونوا قد بلغوا أو يكونوا قاربوا البلوغ، فيُعاقبون إذا تركوا الواجب.

٣ ـ وإذا بلغوا العشر أيضاً يُخشى عليهم من الشهوة، فيُفرق بينهم في المضاجع، وهذا من أدلة منع الاختلاط بين الذكور والإناث.

[٢] يعني: لا يقتصر على أمرهم بالصلاة، وعلى التفريق بينهم في =

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥).

مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ[١].

وَقَدْ فَرَضَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ عَمَلاً[٢] مِنَ

الشَّرح

= المضاجع وضرب من ترك الواجب منهم، بل يعلّمون أيضاً بقية أمور الدين من الحلال والحرام والأخلاق الطيبة والأخلاق السيئة، بطريقة مختصرة، فيعطون نماذج من أمور الدين، والآداب والأخلاق، فينهون عن القول المحرم وعن الشتم والسباب، والغيبة والنميمة، وكذلك عن الفعل المحرم؛ كالسرقة وأخذ أموال الناس والخيانة، فيربون على الاستقامة في دينهم ودنياهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الناس.

[١] هذه النتيجة من تربية الذين دون البلوغ؛ أنهم إذا بلغوا وهم قد رُبُّوا على هذه الفضائل؛ سهُل قيادهم واستمروا على هذه المعلومات القيمة، ونمت عندهم وزادت؛ لأنهم مثل الغرس، فالغرس ينمو شيئاً فشيئاً ويكبر ويثمر فيما بعد.

هذه هي التربية الصحيحة، فنحن نأخذ أصول تربيتنا من ديننا؛ لا نأخذها من الغرب ومن تربية الغرب؛ لأنها لا خير فيها.

[٢] فقد فرض الله ﷻ على اللسان الأذكار الشرعية وتلاوة القرآن، فهذا عمل اللسان، وفرض على القلب العمل أيضاً، فالقلب له عمل وهو خشية الله ومحبته والتوكل عليه، والإنابة إليه، فهذه أعمال قلبية، وكذلك فرض على الجوارح ـ وهي الأعضاء ـ أعمالاً تؤديها، وهي الأعمال الظاهرة من الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله.

عمل القلب: الاعتقادات، وهي الإيمان بالله ﷻ، والخوف، والخشية، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والمحبة، إلى غير ذلك.

الِاعْتِقَادَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلاً مِنَ الطَّاعَاتِ[١].

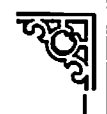
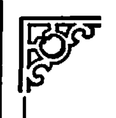
وَسَأُفَصِّلُ لَكَ[٢] مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرَهُ بَاباً بَاباً؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً[٣].

الشَّرح

[١] الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لم يذكر أعمال اللسان من الأذكار؛ لأنها داخلة في أعمال الجوارح؛ لأن اللسان جارحة من الجوارح، فهذه الأعضاء تُكسب صاحبها إما خيراً، وإما شرّاً؛ فلذلك سميت الجوارح، من الاجتراح وهو الاكتساب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، فعمل الجوارح هو ما يظهر من حركاتها وسكناتها وتصرفاتها؛ إما في الخير وإما في الشر، فالإنسان إذا تأملته كله تجده يشتغل ظاهراً وباطناً؛ لا يبقى شيء منه معطلاً، وعمله راجع إليه، إن كان صالحاً رجع عليه بالخير، وإن كان سيئاً رجع عليه بالخسارة.

[٢] يخاطب معلِّمه ومدرِّسه الذي طلب منه أن يؤلف هذه الرسالة بمقدمتها النافعة المفيدة.

[٣] يذكر أن تقسيم الكتاب إلى أبواب مما يعين المتعلم والقارئ على فهمه شيئاً فشيئاً؛ لأنه لو سُرِد من دون تبويب لشق ذلك على من يراجعه، ثم طلب من الله الخيرة والإعانة وتبرأ من الحول والقوة، ونسب ذلك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وختم بالصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحابته الكرام، ثم دخل في التفاصيل فقال:

بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ[١] مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ وَالنُّطقُ بِاللِّسَانِ[٢] أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ[٣]، ....

الشَّرْح

[١] لأنه لا بد من النطق بالحق مع اعتقاده بالقلب؛ لأنه ليس المقصود النطق باللسان فقط، بل لا بد مع النطق من الاعتقاد، كما لا يكفي الاعتقاد بدون نطق، بل لا بد من الأمرين.

[٢] فإذا قلت: «لا إلـه إلا الله» فقد نطقت بها بلسانك، ولكن لا بد أن تعتقد معناها ومدلولها في قلبك، ولا بد أن تعمل بمقتضاها في جوارحك، فهي ليست كلمة تُقال باللسان فقط، وإنما هي كلمة عظيمة لها مقتضى، ولها معنى، فلا بد أن تعرف هذا، فـ(لا إلـه إلا الله) كلمة عظيمة هي عنوان الإسلام، وعنوان الإيمان، فهي كلمة تحتاج إلى عناية، وتحتاج إلى فهم.

[٣] الإلـه هو المألوه: المعبود بحق أو بباطل، فالمعبود يُسمى إلـهاً، والمعبود بحق هو الله ﷻ وحده، وكل ما سوى الله من الآلهة من الأصنام والأشجار والأحجار والقبور آلهة باطلة؛ ولهذا تُفسر (لا إلـه إلا الله) بأنها: لا معبود بحق إلا الله، ولا يكفي أن تقول معناها: لا معبود إلا الله، فهذا باطل؛ لأنه يدخل فيه المعبودات كلها تكون هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود الذين يقولون: كل معبود وكل صنم هو الله، تعالى الله عما يقولون، فلا بد أن تقيَّد، فيُقال: لا معبود حق إلا الله، أو لا معبود بحق إلا الله ﷻ، =

وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ[١]، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ[٢]،

الشَّرح

= ليخرج المعبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، فالله إلٰه واحد، (لا إله غيره)؛ يعني: لا إلٰه حق إلا هو، وما سواه فهي آلهة باطلة، فأنت إذا قلت: (لا إله إلا الله) أثبت حقيقة عبادة الله وأبطلت عبادة غيره بهذه الكلمة، فهي كلمة تجمع بين النفي والإثبات: نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

[١] كما أن الله ـ جلَّ وعلا ـ لا معبود بحق إلا هو، وما عُبد من دونه فهو باطل، وذلك أنه لا شبيه له ولا نظير له، فيقاس به أو يسوَّى به فيعبد معه، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فتشبهونه بغيره، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، والسمي هو المشابه له؛ أي: لا شبيه له ولا تعلم من يستحق العبادة سواه.

[٢] كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]؛ يعني: ليس له بداية وليس له نهاية، وليس له شبيه من خلقه؛ لأن الولد شبيه بالوالد وجزء منه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]؛ يعني: ولداً، فالولد جزء من الوالد، وهذا فيه الرد على النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون، ورد على المشركين من العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فالذين أثبتوا الولد لله نوعان:

- النصارى أثبتوا له الابن.
- والمشركون أثبتوا له البنات.

والله ـ جلَّ وعلا ـ رد على الفئتين: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]، فالله ليس له ولد؛ لأنه ليس بحاجة إلى الولد؛ ولأن الولد يشبه الوالد وهو جزء منه، والله ليس له جزء مخلوق ولا شبيه، تعالى الله =

وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ[١]، وَلَا شَرِيكَ لَهُ[٢].

لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ[٣]، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ[٤]، ....

الشَّرح

= عن ذلك، والولد شريك للوالد، والله ـ جلَّ وعلا ـ لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهو مُنزّه عن الوالد والولد.

[١] يعني: ليس له زوجة، فكيف يكون له ولد وهو ليس له زوجة، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فهو ليس بحاجة إلى المخلوقين، ليس بحاجة إلى الزوجة، وليس بحاجة إلى الولد وليس بحاجة إلى خلقه مطلقاً؛ لأنه الغني وهم الفقراء المحتاجون إليه.

[٢] هذا عام؛ يعني: ليس له شريك بأي نوع من أنواع الشراكة، فليس له شريك شراكة ولد، أو شراكة زوجة، ولا شريك له في أسمائه وصفاته لا أحد يشابهه ويضاهيه ﷻ، فلا شريك له: لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في عبادته.

[٣] كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»؛ يعني: المتعالي على خلقه ﷻ، القاهر فوق عباده، «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»(١). فلا أحد يخفى عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥].

[٤] يعني: لا أحد يعرف كيفية صفات الله، وأما معناها فهو معلوم، فلا يُكَيَّف كلامه، ولا يكيف سمعه ولا بصره، وكذا جميع صفاته، فنحن نؤمن بها، ونثبتها ولكن لا نعلم كيفيتها، وحقيقتها؛ فالأسماء والصفات =

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ[١]، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ[٢]،

الشَّرح

= معلومة المعنى، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله ﷻ، فلا تقل: كيف استوى؟ فالكيفية لا نعلمها؛ ولهذا لما سأل رجلٌ الإمام مالكاً رَحِمَهُ اللهُ فقال له: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك رأسه حتى علاه العرق من الخوف من الله ﷻ؛ لأن هذا سؤال لا يليق بالله ﷻ، ثم قال: «الاستواء معلوم»؛ يعني: معلوم المعنى، فاستوى على العرش معناه: ارتفع واستقر وعلا عليه، «والكيف مجهول»؛ أي: مجهولة كيفيته، «والإيمان به واجب على ما يليق بالله، والسؤال عنه بدعة»؛ أي: السؤال عن الكيفية، وليس من عادة العلماء ولا السلف الصالح أنهم يسألون عن الكيفية، وإنما يسألون عن المعنى فقط، لأنه معلوم، ثم قال: «وما أراك إلا رجل بدعة»، فأمر به فأخرج من مجلسه وطُرد، وهكذا جزاء مثل هذا الذي يتجرأ على الله ﷻ، ويسأل عن شيء لا يجوز السؤال عنه.

[١] **فلا يحيط بشأنه ﷻ المتفكرون**، مهما تفكرت في الله ﷻ، في ذاته، وفي أفعاله وفي صفاته، وأسمائه، لن تنتهي إلى غاية، ما عليك سوى الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والوقوف عند هذا ولا تسأل عن الكيفية.

[٢] **التفكر في الله أن تتفكر في آيات الله**، فتتفكر في آيات الله الكونية والقرآنية، الآيات الكونية: تتفكر في الأرض والجبال والبحار والبر والبحر والأشجار والأنهار، تتفكر فيها أنها تدل على الخالق ﷻ، وكما قيل:

فيا عجباً كيف يعصى الإلـه ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء لـه آيـة ... تدل على أنـه واحد

وكذا تتفكر في آيات الله القرآنية؛ بمعنى: أن تتدبرها، وتتأمل معناها، وتفسيرها، أما أن تتفكر في كيفية أن الله تكلم بالقرآن، وكيف يتكلم، فهذا لا يجوز السؤال عنه والتفكير فيه.

وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ[١]، وَلَا يُحِيطُونَ بِشيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ[٢]، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ[٣]، ....

الشَّرْح

[١] ماهية(١)؛ يعني: ما هو.

[٢] هذا هو الدليل على تحريم التفكُّر في ذات الله وهو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فعلم الله واسع، ونحن لا نعلم من علم الله إلا ما علَّمنا، كما قالت الملائكة لله: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، والله ـ جلَّ وعلا ـ قال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فما علّمه الله خلقه فإنهم يتعلمونه، وما لم يعلّمهم إياه فإنهم يقفون عنه، ولا يدخلون فيه، وما يعْلمونه شيء يسير في علم الله، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فالعلم الكامل لله ﷻ، أما علمنا فهو قليل في جانب علم الله ﷻ فلا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء وعلمنا إياه على لسان رسوله ﷺ، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، فإنه يطلعه الله على ما شاء من الغيب؛ لأجل مصلحة الناس، ليبين للناس، وهذا شيء معلوم في عقيدة المسلم، فالذين يزعمون أنهم يعلمون كل شيء وأنهم ارتقوا بالعلم إلى ما لا نهاية له، ويفتخرون بذلك، هؤلاء كذابون ما بلغوا من علم الله إلا شيئاً يسيراً؛ مما أقدرهم الله عليه، وما لم يُقدرهم عليه ولا يعرفونه أعظم وأشد وأكثر.

[٣] الكرسي مخلوق: وهو تحت العرش؛ فالعرش أعظم منه، والكرسي وسِع السمٰوات والأرض فكيف يكون العرش! إذا كانت هذه عظمة الكرسي، فكيف بعظمة العرش! فكيف بعظمة الله ﷻ! فلا تتصوره الظنون ولا الأوهام، =

---

(١) في بعض النسخ (مائية)، عقيدة السلف للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ ص٥٦.

وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا[١]، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ[٢]. الْعَالِمُ الْخَبِيرُ[٣]، الْمُدَبِّرُ[٤]

الشَّرح

= وكما جاء في الحديث: «مَا السَّمَوَات السَّبْع فِي الْكُرْسِيّ إِلَّا كَدَرَاهِم سَبْعَة أُلْقِيَت فِي تُرْس»(١)، فالسمٰوات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم ألقيت في ترس، والكرسي بالنسبة للعرش كما في الحديث: «مَا الْكُرْسِيّ فِي الْعَرْش إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيد أُلْقِيَتْ بَيْن ظَهْرَانِيّ فَلَاة مِنْ الْأَرْض»(٢).

فهذا بيان لعظمة مخلوقات الله، فكيف بعظمة الله ﷻ! فالكرسي فوق السمٰوات، وفوق السمٰوات بحر، ثم فوق البحر: الكرسي، ثم فوق الكرسي: العرش، والله فوق العرش، مستوٍ على عرشه، عالٍ على مخلوقاته ﷻ، ومع علوه وارتفاعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعلمه في كل مكان ﷻ، لا يخفى عليه شيء، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

[١] يعني: لا يثقله حفظ السمٰوات والأرض، فهو يحفظها ويحملها ﷻ بقدرته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١]، فهو الذي يمسك السمٰوات والأرض بقدرته ﷻ، ولا تكلفه شيئاً، ولا يؤوده؛ يعني: لا يعجزه ولا يثقله حفظهما.

[٢] وهو العليُّ، على خلقه بذاته وقدرته وقهره، العظيم الذي لا أعظم منه ﷻ.

[٣] العالم(٣) بكل شيء، خبير بكل أحوال مخلوقاته.

[٤] المدبر لمخلوقاته، فلا يتحرك شيء ولا يسكن شيء، ولا يسقط =

(١) ذكره الطبري في تفسيره، سورة البقرة آية (٢٥٥).
(٢) ذكره الطبري في تفسيره، سورة البقرة آية (٢٥٥).
(٣) في بعض النسخ: (العليم).

الْقَدِيرُ[١]، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[٢]، الْعَلِيُّ[٣] الْكَبِيرُ[٤]، ....

الشَّرح

= شيء ولا يرتفع شيء إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، الكتاب: هو اللوح المحفوظ، فعَلِمه أولاً، ثم كَتَبه في اللوح المحفوظ، فهو المدبر لكل شيء.

[١] أي: عظيم القدرة، فهذه صيغة مبالغة، فهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، أما المخلوق فقد يشاء شيئاً ولكن لا يقدر عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فهو قدير ﷻ، يأمر الشيء فيوجد بمجرد أن يأمره، يقول للشيء: كن فيكون.

[٢] اسمان من أسماء الله يتضمنان صفتين: صفة السمع وصفة البصر، والمخلوق سميع بصير، والله سميع بصير، ولكن ليس سمع المخلوق وبصر المخلوق؛ كسمع الله وبصر الله ﷻ، فصفات المخلوق تناسبه، وصفات الخالق تناسبه ﷻ، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، فهي لا تشترك في الحقيقة والكيفية، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢]، والله سميع بصير، فليست أسماء الله وصفاته تُشبهها أسماء المخلوقين وصفاتهم، فلا تشترك في الحقيقة والكيفية، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى.

[٣] أي: على مخلوقاته، له العلو المطلق، علو الذات فوق مخلوقاته، وعلو القدر، وعلو القهر، فأنواع العلو الثلاثة كلها ثابتة لله ﷻ.

[٤] الذي لا أكبر منه ﷻ؛ ولذلك تقول: الله أكبر؛ أي: أكبر من كل شيء، لا أحد أكبر منه ﷻ.

وَأَنّه فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ[١]، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ[٢].

الشَّرح

[١] والعرش هو سقف المخلوقات وأعلاها، والله فوق العرش بذاته لا بعلمه كما تقول المؤولة: إنه فوقه بعلمه أو بقدرته أو بسلطانه، بل هو ﷻ فوقه بذاته، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والاستواء صفة فعلية، أما العلو فهو صفة ذاتية؛ ولهذا جاء الاستواء مرتباً على خلق السمٰوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالاستواء صفة فعلية، يفعلها الله متى شاء ﷻ، وأما العلو فهو صفة ذاتية لا تنفك عنه ﷻ، وجاء لفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سبعة مواضع من القرآن، لم يتغير لفظها، فدلَّ على أن معناها واحد، وهو العلو والارتفاع فوق عرشه، يقول ابن القيم رحمه الله:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حُصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

فقوله[(١)]: (**فلهم ... عليها**)؛ أي: في معنى: لفظة الاستواء، أربعة تفسيرات وهي: استقر، علا، ارتفع، صعد، بخلاف تفسيرات المعطّلة؛ فالجهمية ينكرون العلو، وينكرون الاستواء، ويقولون: الله في كل مكان حتى في أمكنة القاذورات والحمامات! ولا ينزهونه ﷻ، فهم ينكرون العلو لله ﷻ، يقولون: هو في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً. **وقوله**[(٢)]: (**بذاته**) رد على المؤولة من الأشاعرة وغيرهم، الذين يقولون: استوى بمعنى: استولى على العرش بسلطانه.

[٢] أي: مع علوِّه على مخلوقاته هو في كل مكان فهو معهم بعلمه، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ =

---

(١) يعني ابن القيم. (٢) يعني ابن المصنف.

خَلَقَ الإِنْسَانَ[١]، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٢].

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٣]، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى[٤]،..............

الشَّرْح

= [آل عمران: ٥]، وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ أي: معكم بعلمه.

علا بذاته فوق خلقه ... ومن علمه لم يخل في الأرض موضع

[١] أي: الإنسان: آدم وذريته (ويعلم ما توسوس به نفسه) يعلم ما في صدر الإنسان من الأفكار قبل أن يتكلم بها (وهو أقرب إليه من حبل الوريد) الوريد: هو العِرق الذي بجانب الرقبة، يجري منه الدم، والله أقرب إلى عبده من حبل الوريد الذي في عنقه، وهذا القرب ليس قرب اختلاط، ولكن قريب منه بعلمه ﷻ، فهو قريب من عباده قرب إحاطة واطلاع؛ لا قرب اختلاط.

[٢] **الكتاب**: هو اللوح المحفوظ، الذي كُتبت فيه مقادير الخلائق بعد علم الله - جلَّ وعلا - بها، فقد علمها أولاً ثم كتبها ثانياً؛ لأن مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع:

الأولى: مرتبة العلم، أن الله علم كل شيء بعلمه الأزلي الأبدي.

الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة: مرتبة المشيئة، إنه إذا شاء حدوث الشيء ووجوده؛ كان ووجد. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد بعد المشيئة.

[٣] **جاء في الآيات** من سورة الأعراف وغيرها في سبعة مواضع.

[٤] **يعني**: احتوى الملك كله؛ أي: ملكه وحده قال تعالى: =

وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحسْنَى[١] وَالصِّفَاتُ الْعُلَى[٢]، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ[٣]، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً.

الشَّرح

= ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣]، فالملك كله لله ـ جلَّ وعلا ـ وإنما يُملّك المخلوق شيئاً يسيراً ثم يسلبه منه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فملوك الدنيا مُملَّكون؛ ملّكهم الله ﷻ، ثم ينزع منهم الملك: إما بموتهم، وإما بتسلط أحد عليهم، أما مالك الملك المطلق فهو الله ـ جلَّ وعلا ـ الذي لا يزول ملكه ﷻ، ولا يبيد.

[١] قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]، وغيرها من الآيات، فأسماؤه كلها حسنى؛ لأنها تدل على الكمال، ولها معانٍ جليلة فكل اسم منها يدل على صفة عظيمة من صفات الله ﷻ، فهي ليست أسماءً مجردة، وإنما هي أسماء لها معانٍ عظيمة؛ ولذلك سميت حسنى؛ فالرحمٰن يدل على الرحمة، والسميع يدل على السمع، والبصير يدل على البصر، والعليم يدل على العلم، والحي يدل على الحياة... إلخ.

[٢] وهي كلها صفات عَلِيَّة، وصفات عالية، وليست كصفات المخلوقين التي منها صفات ذميمة.

[٣] الله ـ جلَّ وعلا ـ لم يزل ولا يزال بجميع أسمائه وصفاته، لم يحدث له صفة بعد أن لم تكن؛ فأسماؤه وصفاته ملازمة له، ولا بداية لها كما أنه لا بداية له سبحانه، ولا نهاية لها كما أنه لا نهاية له ﷻ، فالله بجميع أسمائه وصفاته هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وفي هذا ردٌّ على الذين ينفون الأسماء والصفات؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ويقولون: إذا أثبتنا الأسماء والصفات جعلنا له شركاء في القدم وهو لا شريك له في القدم، ولذلك من أصولهم الخمسة: التوحيد وهو نفي الصفات، ونرد عليهم: بأن =

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ[١].

الشَّرْح

= الصفة ليست غير الموصوف، والاسم ليس هو غير المسمى، حتى تقولوا: إنها شركاء لله ﷻ؛ ولذلك يسمي هؤلاء الذين يثبتون الأسماء والصفات بالمشركين ويصفونهم بالشرك؛ لأنهم أثبتوا شركاء لله بزعمهم، حيث جعلوا الأسماء والصفات كأنها مخلوقات تشارك الله ﷻ بزعهم، وهذا من كفرهم وضلالهم، حتى إن الرازي قال عن ابن خزيمة لما كتب مؤلفاً في الأسماء والصفات وسماه «كتاب التوحيد» قال عنه: إن هذا الكتاب هو كتاب الشرك(١)؛ لأنه يثبت الأسماء والصفات لله، فمعناه: أنه جعل لله شركاء، هكذا يزعمون، فهم ينفون الأسماء والصفات من أجل التوحيد بزعمهم، فالموحد عندهم هو الذي ينفي الأسماء والصفات، والمشرك عندهم هو الذي يثبت الأسماء والصفات - تعالى الله عما يقولون - وهو قول باطل حتى في المخلوقين إذا قلت: زيد عالم وكاتب وحاسب. .إلى آخره، هل معناه أنك جعلت أسماء زيد وصفاته مخلوقات أخرى معه وشريكة له؟ هذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول.

[١] **هذا رد على الجهمية**؛ فأسماؤه وصفاته ملازمة لذاته؛ لا بداية لها ولا نهاية، كما أن ذاته لا بداية لها ولا نهاية، وصفاته منها ما هو صفة ذات وما هو صفة فعل، وصفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد.

فمن صفاته الفعلية: الكلام؛ فالله يتكلم حقيقة، ويُسمع منه الكلام، كلّم موسى ﷺ وسمع كلامه؛ ولذلك سمّي موسى كليم الله، ويكلم جبريل بالوحي ويسمع كلامه، ويبلغه للرسل، فهو يتكلم إذا شاء بكلام يُسمع، أما الجهمية فيقولون: الله لا يتكلم؛ لأن المخلوق يتكلم، وإذا وصفنا الله بالكلام فمعناه أننا شبهنا الخالق بالمخلوق، فهم لا يفرقون بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فالله يتكلم إذا شاء بكلام يليق به ﷻ، وليس مثل كلام المخلوق، فكلامه صفة له من صفات أفعاله، التي يفعلها إذا شاء ومتى شاء، وبما شاء ﷻ لا بداية لكلامه ولا نهاية؛ كسائر صفاته، والجهمية يقولون: =

(١) التفسير الكبير (٢٧/ ١٧٠).

الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ[١] لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ[٢]، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكّاً مِنْ جَلَالِهِ[٣].

الشَّرح

= كلام الله مخلوق، ومعنى كلَّم الله موسى عندهم خلق الكلام في موسى، وليس المعنى أن الله كلَّمه حقيقة وسمع موسى كلام الرب ﷻ، وكذا هم يقولون عن القرآن إنه مخلوق وليس كلام الله حقيقة وإنما خلقه الله في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ وأتى به إلى محمد ﷺ - تعالى الله عما يقولون - وعدم الكلام نقص في حق الله فالذي لا يتكلم معناه أنه ناقص؛ ولهذا قال لما اتخذ بنو إسرائيل العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وفي الآية الآخرى قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩]، فالله عاب هذا الذي صنعه السامري واتخذه بنو إسرائيل إلٰهاً لهم وقالوا: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، موسى نسي وذهب يبحث عن ربه وهو معكم، قال الله رداً عليهم: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩]، فالذي لا يتكلم لا يصلح أن يكون إلٰهاً، كيف يكون إلٰهاً وهو لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يدبر، تعالى الله عما يقولون.

[١] أي الكلام: من صفات الله، فهو صفة فعل، وكل صفة فعل فهي صفة ذات أيضاً.

[٢] هذا رد على الجهمية الذين يقولون: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤]؛ يعني: خلق فيه الكلام، وهذا قول باطل فالله كلَّمه بكلام سمعه موسى منه.

[٣] كما في قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لأن موسى عليه السلام لما سمع كلام ربه اشتاق لرؤيته فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الله له: ﴿لَن تَرَانِي﴾؛ أي: لا تطيق رؤيتي وأراد ﷻ أن يبين له أنه لا يطيقها بما يحصل للجبل إذا تجلى الله له فقال: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ =

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلَا صِفَةٍ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ[١].

الشَّرح

= ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾؛ أي: ارتجف الجبل وتحول إلى تراب، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: مغشياً عليه من شدة الهول إلى آخر ما ذكره الله.

[١] **مما يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق**، منه بدأ وإليه يعود، والقرآن الكريم فرد من أفراد كلام الله؛ لأن جنس كلام الله لا ينفد وهو الكلام الذي يدبر به مخلوقاته بأوامره ونواهيه ولا بداية له ولا نهاية له، فهو قديم النوع، حادث الآحاد، بمعنى أنه يتكلم ﷻ بما شاء متى شاء، وكيف شاء في الأزل والأبد ودائماً وأبداً، فكلامه ﷻ صفة من صفاته الفعلية؛ التي يفعلها متى شاء، فكلام الله من جملة صفاته الفعلية، ومن آحاده: القرآن الكريم، والكتب المنزلة على رسله، فالله تكلم بالتوراة وبالإنجيل والقرآن، وتكلم بالكتب المنزلة، ويكلم من شاء من عباده، كما يشاء ﷻ، فيجب الإيمان بذلك، وأن القرآن كلام الله، لفظاً ومعنًى، بخلاف قول الجهمية الذين ينفون الكلام عن الله كما ينفون عن الله سائر الصفات، ويقولون: إن كلامه مخلوق، خلقه الله إما في اللوح المحفوظ، وإما في جبريل، وإما في محمد وموسى وعيسى، فهو من جملة مخلوقاته، وهذا قول باطل، فإن كلام الله صفة من صفاته الفعلية غير مخلوق، ولا يشبهه كلام الخلق.

فالمخلوق يتكلم أيضاً، والله ـ جلَّ وعلا ـ يتكلم، المخلوق يسمع والله ـ جلَّ وعلا ـ يسمع، المخلوق يبصر، والله ـ جلَّ وعلا ـ يبصر ويرى ﷻ. ولكن صفات الله تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، فلا يشبه هذا هذا، فصفات المخلوقين مخلوقة، وأما صفاته ـ جلَّ وعلا ـ فإنها غير مخلوقة، بل هي أزلية بأزليته ﷻ، وكلامه لا ينفد ولا يُحد، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ =

. . . .

الشَّرح

= [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فالله يتكلم - جلَّ وعلا - متى شاء، يتكلم في الأزل، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم متى شاء سبحانه، يأمر وينهى ويدبر، ولا حد لكلامه ﷻ.

كلَّم جبريل وسمع جبريل كلامه، كلَّم موسى عليه السلام، وسمع موسى كلامه، وكلم محمداً ﷺ ليلة المعراج، وكلَّم آدم عليه السلام، فهو يكلم من شاء بكلام يليق بجلاله ﷻ، لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن سائر صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالقرآن الكريم من كلامه، لفظه ومعناه، والجهمية يقولون: لفظه ومعناه مخلوقان، والأشاعرة يقولون: لفظه مخلوق، وأما معناه فهو غير مخلوق وهو المعنى القائم بالنفس، وعبَّر عنه جبريل، فالقرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله ﷻ، وهذا مشتق من قول الجهمية أيضاً، إلا أنهم فارقوهم في أن معناه غير مخلوق وأما لفظه فمخلوق، وأما أهل السُّنَّة فيقولون: القرآن كلام الله لفظاً ومعنًى، كما يليق بجلاله ﷻ، والكلام والصفات هي كمال، أما الذي لا يتكلم فإنه ناقص، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

ولهذا لما اتخذ بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فدلَّ على أن الله - جلَّ وعلا - يكلم عباده، وأما الذي لا يكلم فهو جماد، وإبراهيم عليه السلام قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فدلَّ على أن الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يصلح أن يكون إلـهاً، ولا يلزم من إثبات الصفات لله مشابهته للمخلوقين فأسماء الله وصفاته لا تشبه صفات خلقه، وأسماؤه لا تشبه أسماء خلقه، وكلامه لا يشبه كلام خلقه، وصفات المخلوقين تليق بهم، وصفات الله تليق =

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ[١] ....

الشَّرح

= به، فهناك فرق بين هذا وهذا، وهذا ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: (**وأن القرآن كلام الله**) وكذا الإنجيل كلام الله، والتوراة كلام الله، وكلامه أكثر من هذا ﷻ. وهو (**ليس بمخلوق**) كما تقوله الجهمية؛ لأنه لو كان مخلوقاً فالمخلوق يفنى، ويبيد، فعلى هذا فالقرآن يبيد، والقرآن لا يفنى ولا يبيد، وكذا سائر كلامه ﷻ. (**ولا صفة لمخلوق**) هذا رد على الذين يقولون: إن القرآن إنما تكلم به جبريل، والرد عليهم أنه لو كان كذلك لكان صفة مخلوق، وصفات المخلوق تنفد، وكلام الله لا ينفد، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، فكلام الله لا ينفد؛ كسائر صفاته.

[١] **الإيمان بالقضاء والقدر**، ركن من أركان الإيمان كما في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان، فقال ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١]، والقدر: هو ما قدّره الله وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ، ومراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهي أن الله علم كل شيء، بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به دائماً وأبداً، علم ما كان وما يكون.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل ما جرى ويجري إلى أن تقوم الساعة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، وهي: أن الله إذا شاء إيجاد هذا المُقدر في وقته؛ فإنه يوجده ﷻ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يشاؤه، ولا يقع. =

(١) أخرجه مسلم (٨).

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[١] ....

الشَّرْح

= المرتبة الرابعة: الإيجاد والخلق؛ فالله خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله الخالق ـ جلَّ وعلا ـ خلق كل شيء مما كان ومما يكون.

هذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ومن جحد واحدة منها فقد كفر، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، هذا هو اللوح المحفوظ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾؛ أي: من قبل أن نخلقها وهي مرتبة الخلق، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، فالله خلق كل شيء وقدّر كل شيء وكتب كل شيء، فهذا يسير عليه ﷻ، ولماذا أخبرنا الله بذلك؟ قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، إذا أصابك شيء وعلمت أن هذا بقضاء الله وقدره فلا تأس ولا تحزن؛ لأنه لا بد أن يكون، ثم قال: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]؛ أي: لا تفرحوا بما أعطاكم فرح بطر وأشر وتكبر.

[١] الله قدّر كل شيء: الخير والشر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، كله من قدر الله، وهو من ناحية خلق الله له: غير شر؛ لأنه خلقه لحكمة، وإنما هو شر بالنسبة إلى من وقع عليه؛ فالقتل، والجراح، والمكروهات كلها شر على من وقعت عليه، وهي بالنسبة إليه ﷻ ليست بشر، بل من كماله سبحانه، أنه خلق الخير والشر؛ لأنه من كمال الخلق، فلا يقتصر على الخير فقط، ولا على الشر فقط، بل خلق هذا وهذا، وهذا من عجائب خلقه ﷻ، وما خلق الشر إلا لحكمة، ما خلقه عبثاً، إنما خلقه ليبتلي به ويختبر ويعاقب به من يستحق العقوبة، والعقوبة شرٌّ على من وقعت عليه، ولكنها عدلٌ من الله ﷻ، فهي بالنسبة إلى الله محمودة؛ لأنها تناسب المحل =

حُلْوِهِ وَمُرِّهِ[١]، وَكُلُّ ذَلِكَ[٢] قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ[٣]، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ[٤].

الشَّرح

= الذي وقعت عليه، وهي عدل من الله ـ جلَّ وعلا ـ، فكما أنه يجازي المحسن؛ فكذلك يجازي المسيء، يجازي المحسن بالخير ويجازي المسيء بالشر، فهذا من عدله ﷻ فلا يسوِّي بين المحسن والمسيء، فالله خلق الشر لحكمة عظيمة، ولعدل منه ﷻ، فيجب الإيمان بالقدر خيره وشره، لا يؤمن بالخير فقط، بل يؤمن بالخير والشر كله من الله ﷻ، والنبي ﷺ قال: «والشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ»(١).

[١] على العباد، حُلو ومُر من جهة العباد، فالشر مُر، والخير حُلو، كله من الله ﷻ، الله خلق المتضادات لحكمة منه ﷻ؛ حتى تُعرف قدرته ومشيئته وحكمته ﷻ.

[٢] أي: الخير والشر، حلوه ومره، كله (قد قدَّره الله ربنا).

[٣] فكل مقادير الأمور بيد الله ﷻ، ليس هناك شيء بغير قدر الله كما تقول المعتزلة، الذين يقولون: إن الله ما خلق إلا الخير، وأما الشر، إنما العبد هو الذي خلقه، فخلق الكفر والمعاصي، ويقولون هذا من باب التنزيه لله بزعمهم؛ لأنهم ما عرفوا حكمة الله ـ جلَّ وعلا ـ في المخلوقات، ويقيسونه على خلقه، وهذا باطل؛ فالمعتزلة يخرجون الكفر والشر من القضاء والقدر، ويقولون: إن العبد هو الذي يوجد هذه الأشياء ويأتي بها استقلالاً دون أن يقدرها الله عليه، فمقادير الأمور كلها بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

[٤] فلا يحصل شيء إلا وقد قضاه الله، ولا يحصل شيء لم يقدره الله.

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ[١]، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ[٢].

لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ وَسَبَقَ عِلْمُه بِهِ[٣]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[٤] [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ[٥]،

الشَّرح

[١] علم كل شيء بعلمه الأزلي؛ الذي هو موصوف به أزلاً وأمداً، هذه مرتبة العلم.

[٢] وجريانه وحصوله وإيجاده في وقته، مرتبة من مراتب القضاء والقدر.

[٣] لا يكون من عباده قول أو عمل من خير أو شر، من كفر أو إيمان، وتسبيح وسِباب وشتم، لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، وإيجاده وخلقه ﷻ.

[٤] ﴿أَلَا﴾ هذا استفهام تقرير، وهو أنه ما خلق إلا بعدما علم، علم الأشياء ثم أوجدها، وهو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير بكل شيء.

[٥] يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضله؛ فالفضل من الله ﷻ يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤]، وأما الشر فالله ـ جلَّ وعلا ـ يوقعه بمن يناسبه، ومن يستحقه، فهو عدل منه ﷻ، فهو محمود على هذا وهذا، محمود على الفضل، ومحمود على العدل، فهو يضل من يشاء بعدله، ولكن السبب من قِبل العبد، فإذا لم يقبل الحق وعارض الحق وأنكر الحق، مثل فعل الكفرة مع الأنبياء، فإن الله يجازيهم فيضلهم عقوبة لهم، بسبب أفعالهم وإعراضهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]؛ فالله لا يهديهم بسبب الفسق، ولا يهدي الكافرين بسبب الكفر، ولا يهدي القوم الظالمين بسبب الظلم، فالأشياء مرتبطة بأسبابها، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ =

فَكَلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ[١].

تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ[٢]، ....

الشَّرْح

= ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، فأما الذي يحب الخير ويقبل الخير ويُقبل على الخير ويطلب الخير؛ فإن الله يوفقه ويهديه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]. وأما الذي يعرض عن الخير ويكفر به ويعاند؛ فإن الله يخذله عقوبة له وعدل منه ﷻ؛ فالله لا يضل أهل الإيمان، ولا يهدي أهل الضلال الذين لا يقبلون، ولكنه يضع الأمور في مواضعها، ويضع الهداية في مواضعها، ويضع الإضلال في مواضعه، وهذا كله عدلٌ منه ﷻ وفضل وحكمة.

[١] قال النبي ﷺ للصحابة: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، وذلك بقضاء الله، فقال الصحابة: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؛ أي: من كتب له أن يدخل الجنة يدخلها ومن قدّر له أن يدخل النار دخلها، قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠](١)، فبيَّن سبحانه أن الإضلال والهداية بسبب من العبد، وعدل من الله ﷻ وفضل منه.

[٢] تعالى سبحانه وتقدَّس أن يكون في ملكه ما لا يريد، لا يكون في ملك الله إلا ما أراده ﷻ من خير أو شر، من كفر وإيمان، من هداية وضلال، يضع كل شيء في موضعه فعندما يستحق. =

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩).

أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى[١] ....

الشَّرْح

= وهذا بخلاف قول القدرية الذين يقولون: إن الله لم يرد الكفر ولم يرد الشر، فهذا تعجيز لله ﷻ، أن يكون في ملكه ما لا يريد، نقول: لا، الخير والشر كله بيد الله، والكفر والإيمان كله بتقدير الله ﷻ، ما خلقهما عبثاً ولا ظلماً، مثلاً: السموم خلقها الله، وهي ضارة وقاتلة! ولكن إذا وضعت في مواضعها فتنفع أو تضر، يوقعها الله على من يعاقبه فيُضر، ويوقعها على من يريد له الشفاء فيُشفى؛ فالله خلق هذا السم وإن كان قاتلاً، ولكن فيه حكمة، وخلق الجوع والشبع لحكمة، ابتلاءً وامتحاناً، وخلق المرض والصحة، فخلق المتضادات ولكن كل شيء يوضع في موضعه، لو أن الله ما خلق إلا الخير فالناس كلهم يدخلون الجنة، والله - جلَّ وعلا - يريد أن لا يدخل الجنة أحد إلا بعمله، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعمل، ولا يدخل النار إلا بعمل.

[١] لا أحد يستغني عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كل الناس حتى الملوك الكبار والأغنياء، ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، كلهم فقراء إلى الله، لا أحد يستغني عن الله، ولو كان عنده أموال الدنيا فإنه فقير لا يستغني عن الله، من الذي يُبقي له أمواله، من الذي يُصح جسمه، من الذي يلهمه الاكتساب وجمع الأموال؟ هو الله ﷻ، فأنتم الفقراء إلى الله من كل وجه، والله هو وحده الغني عن خلقه من كل وجه، فهو الغني الحميد المحمود على كل حال ﷻ، على أفعاله، وعلى أقداره، وعلى كل أموره ﷻ، كلها محمود عليها؛ لأنه يضع الأمور في مواضعها، ولو أن الله ما خلق إلا الكفر ما دخل الجنة أحد، فالله خلق الجنة والنار، وخلق الكفر والإيمان، هذا للنار وهذا للجنة، فمن سلك طريق العمل الصالح دخل الجنة، ومن سلك طريق الكفر والشر دخل النار، ولا يسوِّي الله بين هذا وهذا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ =

(خَالِقاً لِكُلِّ شَيْءٍ[١]، أَلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ[٢])(١)، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ[٣].

الشَّرح

= وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

[١] ليس هناك شيء خلقه غير الله، فكل ما في هذا الكون الله خالقه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان: ١١]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ [الأحقاف: ٤]، أثبتوا بدليل على أن هناك شيئاً خلقه فلان أو علان، وما استطاعوا أن يأتوا بدليل، وهذا تحدٍّ من الله عز وجل، يدل على أن كل هذا الكون من خلق الله سبحانه وتعالى، فالله هو الخالق وحده وما سواه فهو مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ [الحج: ٧٣].

[٢] الله ربُّ العباد، ومالكهم والمتصرف فيهم، وهو مربيهم، ومغذيهم بنعمه سبحانه وتعالى، وهو الذي يربيهم بالوحي، ويربيهم بالرزق لأبدانهم، ويربيهم بالوحي لقلوبهم فهو يربي العباد، وهو أيضاً ربُّ أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، فهو خلقكم وخلق ما تعملون، لا أحد يستقل بفعله، ويخلق من دون الله، بل الله هو الذي يخلق سبحانه وتعالى، والمخلوق لا يخلق فعل نفسه.

[٣] فلا يتحرك إلا بقدر الله وقضائه، هو الذي يقدر حركاتهم وهو الذي يقدر آجالهم، ونهاية أعمارهم، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ [فاطر: ١١].

(١) في بعض النسخ: (أو يكون خالقٌ لشيء إلا هو، رب العباد ورب أعمالهم)، عقيدة السلف للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ص٥٧.

الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ[١].

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ[٢]............

الشَّرْح

[١] من رحمته ﷻ بعباده أنه لم يَكِلْهم في دينهم لأنفسهم يختارون ما يرون أنه خير، وقد لا يكون خيراً؛ لقصورهم وقصور علمهم وإدراكهم، فالله ـ جلَّ وعلا ـ لم يكلهم إلى عقولهم، وإنما أرسل رسله وأنزل كتبه ليُبين للناس العبادة التي يريدها منهم، وطريق الخير وطريق الشر هداية لهم، وإقامة للحجة عليهم؛ فالمؤمن ينتفع بما أنزله الله، والكافر تكون الرسل والكتب حجة عليه؛ فالله لم يترك العباد هَمَلاً ولا سُدًى، وإنما أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ولم يكلهم إلى اختيارهم وعقولهم وتفكيرهم.

[٢] الرسل أولهم نوح، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، أما الأنبياء فمن قبل نوح عليه السلام، آدم نبي، وإدريس، أما الرسل فإن أولهم نوح عليه السلام وختامهم محمد ﷺ، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا يأتي بعده نبي، وقال ﷺ: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، فهو نبي آخر الخلق وإلى أن تقوم الساعة، وبعد بعثة محمد ﷺ لا حاجة بالناس إلى بعثة نبي بعده؛ لأنه ﷺ جاء بما يغني الناس إلى أن تقوم الساعة؛ فالقرآن صالح لكل زمان ومكان، والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، فمن اعتقد أنه يُبعث نبي بعد محمد ﷺ فهو كافر، ومن صَدَّق الكَذَبَة المتنبئين فهو كافر؛ ولذلك لما ادعى النبوة أحمد القادياني في هذا الزمن حكم المسلمون عليه بالإجماع أنه كافر، وعلى أتباعه بأنهم كفرة، عملاً بقوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقوله ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[١]، =

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤).

فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيراً وَنَذِيراً[١]، وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ[٢] وَسِرَاجاً مُنِيراً[٣]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ[٤]، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ[٥]، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا[٦].

الشَّرح

= وليست الخليقة بحاجة إلى نبي بعد محمد ولا إلى كتاب بعد القرآن؛ فمن أصول العقيدة اعتقاد أن الرسول ﷺ خاتم النبيين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كافر وكذاب.

[١] (بشيراً) لأهل الخير (ونذيراً) لأهل الشر.

[٢] أي: داعياً إلى شرعه، وإلى دينه، وتوحيده.

[٣] (سراجاً) يخرج الله به من الظلمات إلى النور، و(منيراً) للكون بنور الإيمان والهداية والوحي.

[٤] **أنزل عليه القرآن**، الذي هو أعظم الكتب، وهو المهيمن على الكتب كلها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو الباقي إلى أن يرفع في آخر الزمان قبيل قيام الساعة.

[٥] **هذا الكتاب الحكيم شرح الله به دينه**، فهو الذي بيَّن الدين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]؛ فالكتاب تبياناً لكل شيء، مما يحتاجه الناس إلى أن تقوم الساعة، فلا تنزل نازلة إلا وفي القرآن ما يُبين حكمها لمن عنده علم وبصيرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، والسُّنَّة مبينة ومفسرة للقرآن وموضحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

[٦] **من أصول الإيمان**: الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكره فهو كافر، وقد أنكره المشركون، فصار هذا زيادة في كفرهم، وكذلك من كان يدعي =

. . . .

الشَّرح

= الإسلام وهو ينكر البعث فإنه كافر؛ لأنه مكذِّب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، ومنكر لأصل من أصول الإيمان، والمراد باليوم الآخر: اليوم الذي بعد الدنيا، فالدنيا هي اليوم الأول، ويوم القيامة هو اليوم الآخر، فلا بد من الإيمان به، والاستعداد له، فلا يكفي الإنسان أن يؤمن به، بل لا بد من الاستعداد له بالأعمال الصالحة، والتوبة من الأعمال السيئة، حتى يفوز في هذا اليوم، واليوم الآخر يعبر عنه بالساعة، كما جاء في القرآن: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]؛ فالساعة المراد بها اليوم الذي تنتهي به الدنيا وتبدأ به الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]، يقول للشيء كن فيكون، وهذه الساعة وهذا الوقت الذي تنتهي به الدنيا وتبدأ به الآخرة لا يعلمه إلا الله، وقد صح عن النبي ﷺ أنها تقوم الساعة في يوم الجمعة[١]، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: علاماتها، فعلامات الساعة على ثلاثة أقسام:

علامات يسيرة، وعلامات متوسطة، وعلامات كبيرة.

وهذه العلامات منها ما حصل، ومن ذلك: بعثة النبي ﷺ فإنه نبي الساعة، قال: «**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى**»[٢]، وعلامات متوسطة، وحصل منها ما حصل، ويحصل ما بقي، وبقيت العلامات الكبرى، التي إذا بدأ أولها تتابعت، وهي: خروج الشمس من مغربها[٣]، وخروج الدابة التي تكتب على جباه الناس كافراً أو مؤمناً[٤]، وهي دابة تخرج لا تترك أحداً إلا جعلت عليه علامة؛ من الكفار أو من المسلمين، فيصبح الناس يتنادون: يا كافر، يا مسلم، ومنها: خروج =

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٣٥).
(٤) أخرجه الترمذي (٣١٨٧).

....

الشَّرح

= يأجوج ومأجوج[١]، وهم قوم من بني آدم لا يكادون يفقهون قولاً، ويفسدون في الأرض، وقد طلب الناس من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين الناس سداً، فقام ذو القرنين بما أعطاه الله من القوة والإمكانيات فبنى السد الذي لم يستطيعوا أن ينقبوه، ولم يستطيعوا أن يظهروا عليه، فحال بينهم وبين الناس إلى أجل محدود، ثم يندك هذا السد، فيخرج يأجوج ومأجوج على الناس، ويحصل منهم ما يحصل، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ يعني: هذا السد، ﴿...فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٨، ٩٩]، حتى يهلكهم الله عن آخرهم، ويسلم المسلمون من شرهم كما جاء في الأحاديث.

ومن العلامات الكبرى ظهور المهدي[٢]، وهو من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما، يظهر في وقت خلاف ثم يبايعه الناس، ويسير بالناس سيرة حسنة، ويملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، ويجاهد في سبيل الله، ثم ينزل المسيح الدجال في آخر عهد المهدي، وهو الفتنة الكبرى، والمصيبة العظمى، ثم ينزل المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل الدجال[٣]، ويستريح المسلمون من شره، ثم يظهر يأجوج ومأجوج، فهذه العلامات الكبار المتلاحقة، ثم يقبض الله أرواح أهل الإيمان، ولا يبقى إلا الأشرار، ولا يبقى من يقول: الله الله، ثم تقوم عليهم الساعة، والعياذ بالله، قال ﷺ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**»[٤].

هذا ملخص لعلامات الساعة، ومنها: النار التي تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتَقِيلُ معهم حيث قالوا، وتسوقهم إلى =

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧٠٦٧).

....

الشَّرح

= المحشر، وهي نار تخرج من قعر عدن كما في الحديث[١]، فهذه علامات أخبر بها النبي ﷺ وجاء ذكر بعضها في القرآن الكريم، ولكن متى تقوم الساعة بالتحديد هذا لا يعلمه إلا الله، فالذين يحسبون الحسابات الآن من الدجاجلة ويقولون: تقوم الساعة في سنة كذا أو في يوم كذا، فهؤلاء كذابون ودجالون؛ لأنه لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ﷻ، والملائكة لا يعلمون، والرسل لا يعلمون، فكيف يعلمها هؤلاء، هذا كله كذب وتدجيل، وليس المهم أن تعلم متى تقوم الساعة، المهم أن تعمل لها، ولذلك لما سأل رجل النبي ﷺ: «**مَتَى السَّاعَةُ؟**»، قال: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»[٢]، فالمدار على العمل، وليس المهم أن تعرف متى تقوم الساعة فهذا ليس لك فيه مصلحة، ولو كان فيه مصلحة لبيَّنه الله لنا؛ ولهذا فإن المشركين من شدة تحديهم للرسول ﷺ وتكذيبهم له، يسألون الرسول إذا دعاهم إلى العمل الصالح وإلى الاستعداد للساعة قالوا: متى تقوم الساعة؟ والله يجيبهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فليس من مهمة الرسول أن يعلمهم قيام الساعة، وإنما مهمة الرسول أن يدعوهم إلى التوحيد والعبادة والعمل الصالح، وينهاهم عن الشرك والكفر والمعاصي، هذه مهمة الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقيام الساعة الكبرى يحصل على الناس جميعاً، وأما بالنسبة للأفراد فكل من مات فقد قامت قيامته، وحصلت ساعته، ومن مات انتهى من هذه الدنيا ودخل في البرزخ الذي بين الدنيا والآخرة، فالإيمان بقيام الساعة واليوم الآخر وبما في اليوم الآخر من جنة ونار ومن حساب وعقاب وموازين، وصحف الأعمال وإعطاء الناس صحفهم باليمين أو بالشمال، فهذا كله من =

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٨).

....

الشَّرح

= أمور القيامة وما يجري فيها، والصراط الذي على متن جهنم يمر عليه الخلق، كل هذا من أمور يوم القيامة التي يجب الإيمان بها، ولا يجوز الشك في شيء منها، فالمشركون أنكروا البعث؛ وذلك لأنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم، فقالوا: كيف يموت الإنسان ويصير تراباً ورميماً ثم يبعث وتدب فيه الحياة مرة ثانية ويحيا! ذلك رجع بعيد، قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦]، وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]، هذا منتهى عقولهم، ونسوا قدرة الله، وأن الله لا يعجزه شيء، والله ـ جلَّ وعلا ـ ردَّ عليهم بأدلة في القرآن الكريم منها:

أن الذي قَدِر على بداءتهم قادر على إعادتهم، وهو خلقهم من غير شيء، وأوجدهم من عدم، فهو قادر على أن يعيدهم.

والله ـ جلَّ وعلا ـ يحيي الأرض بعد موتها بالنبات، فكذلك البعث، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، فكما يُنبت النبات من الأرض يُنبت الأجسام أيضاً من تراب، فالتراب الذي تحلل يعيده الله ﷻ كما كان، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]؛ فالله يعيدهم وإن كانوا قد تحللوا، وصاروا تراباً، فهذا التراب المتحلل من أجسادهم يعيده الله كما كان أجساماً متحركة حية سميعة بصيرة، فهو لا يعجزه شيء.

والله الذي خلق السمٰوات والأرض، أليس قادراً على أن يعيد هذا الإنسان؟! هذا من باب أولى، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، فالذي خلق السمٰوات والأرض قادر على أن يعيد هذا الإنسان إلى الحياة كما كان.

فهذه أدلة قاطعة ذكرها الله في القرآن تدمغ هؤلاء الكفرة، الذين أنكروا =

وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ[١]، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ[٢].

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ[٣]،

الشَّرح

= البعث وعجّزوا الله ﷻ عن أن يقدر عليه، تعالى الله عما يقولون.

وأما أهل الإيمان العالمون بقدرة الله؛ فإنهم لا يُشْكل عليهم ذلك، ويؤمنون به تماماً بناء على خبر الله ﷻ، وأن الله قادر على كل شيء، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٧]، فالله يبعث من في القبور ولو صاروا تراباً ورميماً فالله لا يعجزه شيء.

[١] أي: يُحييه من الموت للحساب والجزاء.

[٢] فكما بدأكم أول مرة تعودون للحياة بإذن الله مرة أخرى كما كنتم، فالذي قدر على ابتدائكم قادر على إعادتكم من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

[٣] ففي يوم القيامة يجازي الله ﷻ عباده على أعمالهم، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، كلٌّ يُجازى بعمله، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر؛ فالمؤمنون تضاعف لهم الحسنات التي عملوها في الدنيا، تُضاعف من فضل الله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فتضاعف الحسنة إلى عشرة أضعاف وإلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله، وهذا من فضله ﷻ، وإذا كان لهم سيئات دون الشرك ودون الكفر؛ فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ إما أن يعذبهم بها بقدرها، وإما أن يعفو عنهم، هذا لأهل الإيمان خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما دون الشرك، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فإما أن يغفرها لهم ويمحوها عنهم، أو يعذبهم بها في النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة، هذا في الكبائر التي دون الشرك؛ فالذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، بدليل هذه الآية: =

وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ[١]، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ[٢]، ....

الشرح

= ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، فالصغائر تُكفَّر ولو لم يتب منها الإنسان، فتُكفر باجتناب الكبائر، فمن تجنب الكبائر فإن الله يغفر له الصغائر، وتُكفَّر الصغائر أيضاً بالأعمال الصالحة، قال ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»(١)، وتُكفر السيئات الصغائر أيضاً بالمصائب التي تصيب الإنسان في هذه الدنيا، قال ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢)؛ فالمصائب كفارات للمسلم، وتكفر بمكفرات أخرى.

والكبائر يقولون في تعريفها: ما ترتب عليه حدٌّ في الدنيا؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر أو عليه وعيدٌ في الآخرة من غضب الله، والنار .. إلى غير ذلك، فما عليه وعيدٌ في الآخرة فهو كبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

فالكبيرة إذاً: ما عليه حدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو خُتم بلعنة الله أو غضبه، أو بالوعيد من النار والعذاب، وما عداها فهو من الصغائر، وتُكفَّر بما سبق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، اللمم: صغار الذنوب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

[١] فالله ﷻ إذا شاء غفر لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

[٢] قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ =

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢).

وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِراً إِلَى مَشِيئَتِهِ[١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ اللهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ[٢] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧][٣]، ....

الشَّرح

= سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء: ٣١]، فهذا أحد المكفِّرات للصغائر.

[١] وتُكفَّر الصغائر أيضاً بالتوبة، وإذا لم يتب ومات مُصرّاً عليها وهي دون الشرك فهو صائر إلى مشيئة الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

[٢] ومن عاقبه الله على الكبائر في الآخرة؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يخرجه من النار ويدخله الجنة، فمصيره إلى الجنة بإيمانه وتوحيده، وأما الكافر والمشرك فلا طمع له في الجنة، ولا في رحمة الله ـ والعياذ بالله ـ فلا يخلد في النار إلا المشركون والكفار، وأما عصاة المؤمنين فهم وإن دخلوا النار وعُذبوا فيها؛ فإنهم يُخرجون منها ويصيرون إلى الجنة فقوله: (أخرجه منها بإيمانه)؛ أي: بتوحيده.

[٣] قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]؛ فالإنسان يلاقي عمله خيراً كان أو شرّاً، لا يُهمل منه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، أما السيئة فلا تضاعف، وإنما يجازى بمثلها، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولا تضاعف؛ لأن هذا يخالف العدل من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يضاعف عليه السيئة وهو لم يعمل إلا سيئة واحدة، أو يغفرها الله له إذا كان مسلماً؛ لأن التعذيب على السيئة عدل من الله، ومضاعفة الحسنات فضل =

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ[١].

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ[٢]،

الشَّرح

= من الله ﷻ، تفضل به، ولكن السيئات لا تُضاعف ولكن قد تُغلظ بسبب حرمة الزمان، فإذا عصى الله في الوقت الفاضل؛ كشهر رمضان وأشهر الحج فقد تُغلظ عقوبته، ولا تُعدد، أو لحرمة المكان، مثل السيئة في الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فالسيئة تُغلظ في الزمان الفاضل، وفي المكان الفاضل؛ لأنه انتهك الحرمة.

[١] عصاة المؤمنين يخرجون من النار إما بفضل الله ﷻ، وإما بشفاعة الشافعين، وأعظم الشفعاء هو محمد ﷺ، فإن الله يُشفعه فيمن شاء، إكراماً للشافع ورحمة بالمشفوع، وكذلك شفاعة الملائكة، وشفاعة الأولياء والصالحين، وشفاعة الأفراط والأطفال الذين ماتوا صغاراً، كلهم يعطيهم الله الشفاعة يوم القيامة في أهل الإيمان الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها والذين استحقوا دخولها أن لا يدخلوها، يشفعون فيهم فيُخرجهم الله من النار، والشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، أما الكفار والمشركون فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

[٢] من أمور الآخرة الجنة والنار، النار أعدها الله للكافرين، والجنة أعدها الله للمتقين، وهما مخلوقتان الآن، ولا يتأخر خلقهما إلى يوم القيامة كما يقوله أهل الضلال، وإنما هما مخلوقتان الآن؛ لأن الله قال: ﴿أُعِدَّتْ﴾، =

وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ[١]، ....

الشَّرْح

= وهذا فعل ماض فيدل على أنها مُعدة ومخلوقة، ومما يدل على هذا أيضاً ما جعل الله للجنة من نَفَسٍ يجده المؤمنون في الدنيا بالروائح الطيبة، وكذا للنار وما يجده المؤمنون من شدة الحر والبرد، كما قال النبي ﷺ: «**شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»(١)، فالأدلة تدل على وجود الجنة والنار الآن.

وقوله: (**فأعدها دار خلود لأوليائه**)، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأولياء الله هم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣].

[١] قوله: (**وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم**) أي: ومما أكرم الله به أهل الجنة، بل أعظم ما يُكْرِم الله به أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم، لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه، فإن الله يتجلى لهم يوم القيامة في الجنة ويرونه، وتقر أعينهم برؤيته، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢)، وفي رواية سئل ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ**»(٣)، إكراماً لأهل الإيمان الذين آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وإنما آمنوا به بالأدلة القاطعة التي دلَّت عليه ﷻ، وبأخبار الرسل وبالآيات القرآنية والآيات الكونية، فالله يكرمهم يوم القيامة بأن يروه، أما في الدنيا فلا أحد يراه؛ لأن بني آدم لا يقدرون على رؤية الله ﷻ لعظمته ﷻ، لا أحد في هذه الدنيا يقدر على رؤية الله حتى الرسول ﷺ لما عُرج به، وقرب من الله قيل =

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٣).

وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ[١] وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ[٢]، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

الشَّرْح

= له: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(١)؛ يعني: أن حجابه النور فلم يره، ولا يراه أحد في هذه الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يُكرم أهل الإيمان ويعطيهم قوة على رؤيته، أما في الدنيا فلو تجلى لأحد منهم لهلك؛ ولهذا فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاء إلى ميقات ربه وكلَّمه ربه، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾؛ لأنه اشتاق إلى ربه، ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾؛ يعني: في الدنيا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، فاندك الجبل الصلب القوي وصار تراباً من عظمة الله جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ يعني: غشي عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ من شدة الهول، مع أنه لم يرَ ربه؛ فالله أراد أن يُبيِّن له أنه لا يراه في هذه الدنيا، ولا يستطيع رؤيته.

وأما الكفار فلما كفروا به في الدنيا، وكذبوا بآياته حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾؛ يعني: يوم القيامة، ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، إهانة لهم، فلا يرون ربهم؛ لأنهم جحدوا به في الدنيا وكفروا به، فالله ـ جلَّ وعلا ـ حرمهم من رؤيته يوم القيامة.

[١] هل هذه الجنة هي التي أسكنها الله آدم؟ أو هي جنة أخرى؟ على قولين، والصحيح أنها الجنة التي أخبر الله عنها، **قال المؤلف: (وهي الجنة التي أهبط الله منها آدم نبيَّه)** لأن آدم نبيٌّ مُكلَّم.

[٢] هذه فيها نظر؛ لأن الله ليس له خليفة، بل الله هو الخليفة، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء السفر: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**»(٢)، فالله لا يستخلف أحداً نيابة عنه، وإنما البشر يخلف بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ يعني: يخلف =

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ[١].

الشَّرح

= بعضكم بعضاً، أما قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ يعني: يخلف مَنْ قَبْلَهُ في الأرض، وليس يخلف الله ﷻ، إلا إن كان المصنف رحمه الله يريد بخليفته هنا ما ذكره الله في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فاستخدم عبارة الآية؛ يعني: جعله خليفة مَنْ قَبْله من سكان الأرض.

[١] الإيمان باليوم الآخر يتضمن كل ما يجري فيه، مما ذكره الله في كتابه أو ذكره الرسول ﷺ في سُنَّته، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما يجري في اليوم الآخر من الأهوال، ونؤمن بأن الجنة خلقها الله ـ جلَّ وعلا ـ وأعدَّها لعباده المتقين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، هذه دار المؤمنين يوم القيامة، وهي دار مؤبدة لا يُخرجون منها ولا يموتون ولا يمرضون، ولا يهرمون، ولا يصيبهم فيها مكروه، بل فيها نعيم دائم ومستمر.

ومما يكون في الآخرة: النار التي خلقها الله وأعدَّها للكافرين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]؛ فالجنة والنار مخلوقتان الآن، بدليل قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماض؛ لا أنها تُخلق يوم القيامة، فكلتاهما قد أعدت، الجنة أعدت للمتقين، والنار أعدت للكافرين، ومما يدل على وجود النار أن النبي ﷺ قال: «**وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**»(١)، فيدل هذا على أنها موجودة ومُعدة ومهيأة الآن. =

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧).

وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً؛ لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا[١].

الشَّرح

= والإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر، كما في الحديث: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»(١)، الشاهد في قوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ»، فدل هذا على أنه يجب الإيمان بالجنة والنار ولا يكفي أن تؤمن بالجنة والنار؛ بل لا بد أن تعمل الأعمال التي تسبب لك دخول الجنة، وأن تجتنب الأعمال التي تسبب لك دخول النار.

[١] ومما يكون في يوم القيامة ويجب أن نؤمن به أن الله يجيء لفصل القضاء بين عباده، يجيء ويأتي، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]، فيجيء الله ـ جلَّ وعلا ـ وتجيء الملائكة، ويكونون صفوفاً يحيطون بالخلق في المحشر، يجيء الله لفصل القضاء بين عباده، كما يليق بجلاله ﷻ، هذا مما أخبر الله به وأخبر به الرسول ﷺ، وهو من الصفات الفعلية لله ﷻ، وكيف يأتي؟ هذا لا ندري عنه؛ فالكيفية لا نعلمها، لكن بأنه يأتي كما شاء ﷻ، وأما حصول المجيء والإتيان فإننا نؤمن بهما، وهذا من العقيدة، أما من يؤولون المجيء بأنه يجيء أمره، فهذا تأويل باطل؛ لأن الله أخبر بأنه يأتي ويجيء هو بنفسه ـ جلَّ وعلا ـ ولم يقل: يأتي أمري، وإنما يأتي هو ﷻ بذاته مجيئاً يليق بجلاله ﷻ، وذلك أن الناس يحشرون، قائمين على أقدامهم حفاة عراة غرلاً؛ وتدنو منهم الشمس، ويأخذ منهم العرق =

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥).

....

الشَّرح

= ما يأخذ بحسب أعمالهم، فيصيبهم شدة وهول، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝﴾ [المعارج: ٤، ٥]، في مدة خمسين ألف سنة وهم واقفون في شدة الحر والزحمة، القدم على القدم، الأولون والآخرون، عند ذلك يتقدمون إلى من يشفع لهم عند الله لفصل القضاء بينهم، وإراحتهم من المحشر، فيأتون إلى آدم عليه السلام أبي البشرية ويقولون: «**أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا**»(١)، فيذكر آدم عليه السلام ما حصل منه من الأكل من الشجرة فيعتذر، فيأتون إلى نوح عليه السلام أول رسولٍ إلى أهل الأرض، فيطلبون منه الشفاعة عند الله، فيعتذر بأنه راجع الله في ابنه، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝﴾ [هود: ٤٥]، فقال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، فاستغفر نوح عليه السلام ربه، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، فيعتذر منهم، فيذهبون إلى إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، ويطلبون منه الشفاعة، فيقول لهم: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى**»، فيأتون موسى عليه السلام، ويقولون: «**يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ**»، فيعتذر ويقول: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى** =

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦).

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١].

الشَّرح

= غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، فيأتون إلى عيسى ويقولون: «يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ»، فيعتذر عيسى ويقول: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً ـ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»، فيأتون محمداً ﷺ، ويطلبون منه الشفاعة إلى ربهم ليفصل بينهم، فيقول ﷺ: «أنا لها»، ثم يأتي ويسجد لربه ويدعو الله، ويحمده بمحامد ولا يزال ساجداً بين يدي ربه، حتى يُقال لـه: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١)، فيشفع ﷺ فيهم.

[١] كذلك مما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة: الموازين، وهي موازين الأعمال، كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، نسأل الله العافية.

وذلك أنه يكون هناك ميزان له كفتان ولسان، ثم توضع الحسنات في كفة، وتوضع السيئات في كفة، فإن رجحت حسناته دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته دخل النار، وهذا من عدل الله ﷻ، وأنه لا يظلم أحداً.

فيجب الإيمان بهذا الميزان وأنه ميزان حقيقي، وأنه توزن فيه الأعمال =

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢، ٧٥١٠).

وَيؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ[١]، ....

الشَّرح

= كما أخبر الله، وأخبر رسوله ﷺ(١).

والمعتزلة يقولون: هو ميزان معنوي وليس ميزاناً حقيقيّاً، وإنما هو كناية عن إقامة العدل يوم القيامة؛ فهذا كلام باطل وتأويل فاسد، ولا يجوز تحريف النصوص الصريحة الصحيحة عن معانيها، وإذا أوّلوها وصرفوها، فهذا ليس من الإيمان؛ لأن الإيمان أن تؤمن بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ على حقيقته.

فالموازين حق وتوزن فيها الأعمال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، هذا هو الميزان، وهو ما توزن به الأعمال؛ خيرها وشرها.

[١] **وكذلك مما يكون في يوم القيامة إعطاء الصحف للناس**، وهي صحائف الأعمال؛ لأن أعمالنا تكتبها علينا الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٧، ١٨]، فهم يكتبون ما يصدر عنا من الأعمال والأقوال، ويسجلونه في صحائف، وهذه الصحائف تُعطى لأصحابها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، ويقرؤه من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ، ليعرف عمله وجزاءه، فمنهم من يؤتى كتابه باليد اليمنى إكراماً له فيفرح، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله ـ والعياذ بالله ـ فيحزن عند ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ =

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٧ ـ ٤٨٠١)، والترمذي (٢٠٠٣ ـ ٢٤٣٣).

فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً[١]، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيراً[٢].

الشَّرح

= [الحاقة: ١٩]، يقول للناس من حوله فرحاً: ﴿...اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: تيقنت أنني ملاق الحساب فعملت أعمالاً صالحة، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾؛ أي: باليد اليسرى فيقول: ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾، يتمنى أنه لم يؤتَ كتابه؛ لأنه فضيحة وسوء، ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٧]؛ أي: يقول: ليتني لم أبعث، ويا ليتها كانت الموتة النهائية ولم أبعث، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝﴾ يتحسر ـ والعياذ بالله ـ فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ لملائكته: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٣١] إلى آخر الآيات.

فأهوال يوم القيامة صعبة، فما يلاقيه العباد يوم القيامة أهوال عظيمة وشدائد لكن المؤمنين يكونون في مأمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣].

[١] هذا كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝﴾، لا بد من لقاء الله ﷻ، وعند لقائه ينقسم الناس: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝﴾؛ أي: باليد اليمنى، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾، وهو العرض، ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝﴾ [الانشقاق: ٦ ـ ٩]، ينقلب إلى الجنة وأهله في الجنة مسروراً بما أعطاه الله.

[٢] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝﴾، إهانة له، يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝﴾، الثبور هو الهلاك؛ أي: سوف ينادي بالويل والهلاك ويقول: يا ويلاه يا ثبوراه، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝﴾ =

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ[١].

الشَّرح

= ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٣]؛ أي: مسروراً في الدنيا بملاذها وشهواتها ونسي الآخرة ولم يعمل لها، فهذه من أحوال الناس يوم القيامة، ومن أهوال يوم القيامة، وسنلاقي هذه الشدائد حقّاً يقيناً.

[١] كذلك مما يكون من أمور الآخرة وشدائدها وأهوالها أنه يُنصب صراط؛ أي: جسر على متن جهنم، أدق من الشعر وأحد من السيف، ثم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدواً على قدميه، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يُخطف فيلقى في جهنم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ يعني: النار، وهذا هو المرور على الصراط، فليس هناك أحد إلا ويمر على الصراط: المؤمن والكافر، يمرون على هذا الصراط، ﴿...كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٢]، فالمرور على الصراط مما يكون في يوم القيامة.

فقوله: (وأن الصراط حق)؛ أي: يجب الإيمان به، بدليل هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ هذا وعد من الله ﷻ أن كل الخلق يَرِدون النار، والمتقون ينجون منها؛ لأن معهم أعمالاً تحملهم، والكافرون يقعون فيها؛ لأنهم ليس لهم أعمال صالحة تحملهم على الصراط.

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ[١].

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ[٢]،..............................

الشَّرْح

[١] مما يكون في الآخرة حوض النبي ﷺ، ترِده أمته فيسقيهم ﷺ بيده، وهذا الحوض طوله مسافة شهر وعرضه مسافة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وآنيته عدد نجوم السماء يشربون منه، فمن شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبداً، ولكن هناك ناس يرِدون عليه ويطردون ـ والعياذ بالله ـ يعرفهم الرسول ﷺ، فيقول: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي»، فيقال له: «لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١)، فأهل الردة والكفر والشرك والنفاق يُطردون عن الحوض يوم القيامة، ولا يرِده إلا أهل الإيمان الصادق الذين ثبتوا على إيمانهم، هم الذين يرِدون الحوض على النبي ﷺ، ويشربون منه.

[٢] من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة.

فهو قول باللسان: بأن تنطق بالشهادتين والذكر والتسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم وغير ذلك من الأعمال القولية، وهي كثيرة، ولا يكفي القول باللسان؛ لأن المنافقين يقولون بألسنتهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [النور: ٤٧]، فإن كان القول باللسان فقط، فليس هذا هو الإيمان، وكذلك ليس الإيمان هو الاعتقاد =

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٠).

. . . .

الشَّرح

= بالقلب فقط كما تقول المرجئة، وهو قول باطل، ولو كان كذلك لكان الكفار مؤمنين؛ لأنهم يعتقدون بقلوبهم أن محمداً رسول الله، ولكن منعهم الكبر ومنعهم الحسد ومنعتهم الحمية الجاهلية لدين آبائهم من اتباع الرسول، وهم يعتقدون صدقه، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، فليس الإيمان بالقلب فقط.

وكذلك ليس الإيمان بالقول والاعتقاد فقط، بل لا بد من العمل بالجوارح، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، والأعمال الصالحة كلها تدخل في الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، فذكر الأعمال، والنبي ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[1]، فدل على أن الإيمان قول باللسان، وهو قول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» وسائر الأذكار الشرعية، وهذا أعلاها، وأدناها: «**إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**» وهذا عمل صالح، ولو كان قليلاً فإنه من الإيمان، وكذلك الحياء الذي يمنع الإنسان مما لا يليق، ومن المعاصي، ويمنعه من التفحش، ويمنعه من الأخلاق الذميمة، هذا حياء محمود وهو من الإيمان، كما في الحديث: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»، فدلّ على أن الإيمان شُعب وليس شيئاً واحداً، بل هو شُعب كثيرة، فكل الأعمال الصالحة كلها من شعب الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

. . . .

الشَّرح

أما المرجئة فهم يخرجون الأعمال من حقيقة الإيمان وتعريفه وهم فرق:

١ - منهم من يقول: إن الإيمان قول باللسان فقط. وهم الكرامية.

٢ - ومنهم من يقول: الإيمان اعتقاد بالقلب فقط. وهم الأشاعرة.

٣ - ومنهم من يقول: الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط، ولا يدخل فيه العمل، وهم مرجئة الفقهاء.

٤ - ومنهم من يقول: الإيمان مجرد المعرفة في القلب، وإن لم يعتقد، وهم الجهمية وهم شر فرق المرجئة، فكلهم متفقون على أن العمل لا يدخل في الإيمان؛ ولذلك سموا بالمرجئة من الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخَّروا العمل عن مسمى الإيمان.

وأما كون الإيمان يزيد بالطاعة فهذا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، فدلت هذه الآيات على أن الإيمان يزيد.

وكذلك ينقص الإيمان بالمعصية ونقص العمل، قال ﷺ: «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[1]، وفي لفظ آخر: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[2]، فدلَّ على أن الإيمان يكون ضعيفاً وقد يكون قليلاً وقد يكون مثقال حبة من خردل، وفي الحديث أن الله تعالى يقول: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ =

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ[١]، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ[٢]، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ[٣].

الشَّرح

= إِيمَانٍ»(١)، فيكون الإيمان مثقال حبة من خردل، وهذا أقل شيء، ولكن الله يُنجي صاحبه يوم القيامة من النار بإيمانه ولو كان قليلاً، فدل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فكلما أطعت الله زاد إيمانك، وكلما عصيت الله نقص إيمانك.

والزيادة والنقص في الإيمان يكونان بالأعمال، فإن كثرت الأعمال الصالحة زاد الإيمان، وإن نقصت نقص الإيمان.

[١] الإيمان يكون إيماناً كاملاً ويكون إيماناً ناقصاً، وكمال الإيمان على نوعين: كمال واجب أو كمال مستحب.

[٢] لا بد في القول والعمل أن يكون بنية، أما بدون نية فلا يعتبر، قال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(٢)، من قال كلمات طيبة ولكنه لم ينوِ فليس له شيء، وكذا من عمل عملاً بدون نية كأن صلى تطوعاً وصام وتصدق وليس له نية؛ هذا ليس له أجر؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

[٣] ثم أيضاً لا بد من موافقة السُّنَّة، فمن قال قولاً أو عمل عملاً يخالف السُّنَّة؛ فإن قوله وعمله باطل ولا اعتبار له؛ حتى يعمل بسُنَّة الرسول ﷺ. ولذلك من العلماء من يقول: إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع موافقة السُّنَّة، يخرج بذلك المبتدعة، فالمبتدعة ليس عندهم إيمان، إما ليس عندهم إيمان أصلاً، وإما عندهم إيمان ناقص ينقص بالبدع، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه البخاري (٢٢). (٢) أخرجه البخاري (١).

وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ[١].

الشَّرح

[١] هذا أصلٌ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، أن ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي أنه محرم وفيه وعيد ولكن لا يصل صاحبه إلى حد الكفر وهو الخروج من الملة، ما دام أنه يشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، فإنه إذا حصل منه ذنب دون الشرك ودون الكفر؛ فإنه ينقسم إلى قسمين: إما كبائر وإما صغائر، وعلى كُلٍّ فالكبيرة والصغيرة دون الشرك لا تقتضي الكفر المخرج من الملة، قد تسمى كفراً أصغر، أما أنها تخرج من الملة فهذا إنما يكون عند الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالكبائر ويحكمون على مرتكبي الكبيرة بالخلود في النار، وهو مذهب باطل؛ ولذلك يكفِّرون أهل السُّنَّة ويقاتلونهم ويستحلون دماءهم وأموالهم بناء على مذهبهم، وأما أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون: المعاصي تنقص الإيمان ولكنها لا تخرج من الملة، كما دلَّت على ذلك الأدلة من الكتاب والسُّنَّة.

وقابل الخوارج المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، فما دام أنه مصدق بقلبه فهو مؤمن، والعمل لا يدخل في حقيقة الإيمان فإنه لا تضره المعصية، فضلاً عن أنه يكفر بها، يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، أما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة فهذا صحيح، أما أنه لا يضر مع الإيمان معصية فهذا خطأ، فالمؤمن تضره المعصية، وإن كانت لا تخرجه من الملة، ولكنها تضره فقد يُعذب بها في النار، فأصحاب الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة إن تابوا منها تاب الله عليهم، وإن لم يتوبوا فهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدرها، ثم يُخرجون من النار، وقد يبقون في النار مدة طويلة، ولكنهم يخرجون منها بإذن الله، إما بشفاعة الشافعين، وإما بانتهاء مدة عذابهم، وإما برحمة الله، فمآلهم إلى الجنة كما دلَّت على ذلك الأدلة الصحيحة، والله ـ جلَّ =

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ[١]، ....

الشَّرْح

= وعلا ـ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فمرتكب الكبيرة دون الشرك تحت المشيئة: إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بها، ثم يدخله الجنة، وقد تصيبه مصائب في الدنيا وقد يُعاقب بمعصيته، فالمعصية تضر وتُنقِص الإيمان فلا يتهاون بها، ولكنها لا تصل إلى قول الخوارج إنه يكفر، وإنه يُخلّد في النار، فكلا المذهبين باطل، ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو الوسط بين المذهبين الباطلين وحق بين ضلالتين؛ فالخوارج أخذوا بنصوص الوعيد، وقالوا بإنفاذ الوعيد، والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وأهل السُّنَّة والجماعة أخذوا بالأمرين: أخذوا بنصوص الوعيد وبنصوص الوعد، وقالوا: هذا راجع إلى مشيئة الله ﷻ، ولكن قول المصنف: لا يكفر بذنب ليس على إطلاقه، فهناك ذنوب يكفر بها مثل: ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة متعمداً فإنه يكفر به بدليل الأحاديث، مثل قوله: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١)، وقوله: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(٢)، فترك الصلاة يكفر به.

وقوله: (**من أهل القبلة**)؛ يعني: من المسلمين الموحدين، الذين يصلُّون إلى الكعبة، فالكعبة قبلة المسلمين.

[١] من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن الشهداء وهم الذين قتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أنهم وإن ماتوا في الدنيا وانتهت حياتهم من الدنيا إلا أنهم أحياء في البرزخ (أحياء عند ربهم يرزقون) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ أي: لا تشعرون بحياتهم؛ لأنها حياة برزخية ومن أمور =

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).
(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ[١].

الشَّرْح

= الآخرة وأمور الغيب، فنحن نؤمن بأنهم أحياء ولكنها ليست كحياتهم على الأرض؛ ولذلك تُقسم أموالهم بعد قتلهم، وتَعتد نساؤهم عدة الوفاة، وأما في الآخرة فإنهم أحياء حياة برزخية، والمراد بهم الذين قُتلوا في سبيل الله، يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، هؤلاء هم الشهداء، وقد سُئل ﷺ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[١].

والقتال في سبيل الله له ضوابط، فليس لأي أحد أن يأخذ السلاح ويقتل ويفجر، وإنما لابد أن يكون الجهاد في سبيل الله تحت قيادة ولي أمر المسلمين، إما أن يُباشر القيادة، وإما أن يُقيم بدلاً منه من يقود الجيش في سبيل الله؛ لأن إقامة الجهاد من اختصاص ولي الأمر، ويجاهد المسلمون معه، برّاً كان أو فاجراً، ما دام أنه لم يكفر وأمر بالجهاد فإنه يُطاع، ويجاهد معه في سبيل الله، أما الفوضى وكلٌّ يحمل السلاح ويفجر ويقتل، فهذا ليس في سبيل الله، بل هذا فساد، وإفساد في الأرض، وهذه فوضى، والإسلام لم يأذن بهذا، ولا يسمح به، لما يلزم عليه من سفك الدماء وضياع الحقوق وإتلاف الأموال، فهذا فتنة ـ والعياذ بالله ـ وليس جهاداً، ثم ما هي النتيجة بعد ذلك، إنها الفوضى وانفلات الأمن كما هو مشاهد.

[١] هذا عذاب القبر، وعذاب القبر أو نعيمه دلّت عليه الأدلة المتواترة، فالمؤمن يُنعّم في قبره، ويفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها ونعيمها، ويُفرش له من الجنة، ويوسع له في قبره مد بصره إلى أن يبعثه الله يوم القيامة ثم يدخل الجنة، والتنعيم ليس للروح فقط، بل يكون للروح وللبدن، وإن =

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٨).

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧][١].

الشَّرْح

= تحلل وصار تراباً فإنه يتنعم أو يُعذب، فالعذاب يقع على الروح وعلى البدن في القبر، هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ليس على الروح فقط. **(وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين)** والشقي ـ والعياذ بالله ـ تتصل به روحه في قبره، ويُعذب؛ روحه وبدنه كلاهما ينالهما العذاب في القبر ويتألمان.

فالروح لها تعلق بالبدن حتى في القبر، تأتي وتذهب للميت وتتصل به وهو في قبره بمشيئة الله ﷻ، فالروح لها تعلقات بالبدن:

١ ـ لها تعلق به وهو في بطن أمه، إذا نفخت فيه الروح يحيا ويتحرك ويتغذى وهو في بطن أمه؛ لأن الروح تتصل به.

٢ ـ ولها اتصال به بعد ولادته، فهي متصلة به إلى أن يتوفى.

٣ ـ ولها اتصال به في النوم؛ لأن النوم وفاة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٤ ـ وتتصل به في القبر على ما يشاء الله ﷻ.

٥ ـ ثم تتصل به بعد البعث، وهذا الاتصال لا ينفصل بعد ذلك، ويكون اتصالاً كاملاً لا انفصال بعده، إما في الجنة، وإما في النار.

فهذه اتصالات الروح بالبدن، والله على كل شيء قدير، كما ذكرها الإمام ابن القيم في كتاب «الروح»(١).

[١] من أصول أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بفتنة القبر، والفتنة: هي السؤال؛ فالميت يُسأل في قبره، قال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ**»(٢)؛ أي: تعاد روحه =

(١) «الروح» لابن القيم (١/ ٤٣، ٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

. . . .

الشَّرح

= في جسده: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ»، وأما المنافق والمرتاب الذي عاش في الدنيا على النفاق وعلى الريب والشك فيقولان له: «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»[1]، ويؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بهذا، وقد تواترت الأحاديث في عذاب القبر، ولم ينكره إلا المعتزلة والعقلانيون الذين يعتمدون على عقولهم، فهؤلاء ينكرون عذاب القبر ـ والعياذ بالله ـ ولا يعبؤون بالنصوص فلا يؤمنون بعذاب القبر ولا بنعيم القبر؛ وقد كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال للحاضرين: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[2]، فيقفون على قبره ويستغفرون له، ويسألون له التثبيت، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]؛ ولهذا قال الله لنبيه في شأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]، فنهاه أن يقف على قبر =

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢٣).

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ[١]، ....

الشَّرح

= المنافق؛ يعني: لا يقف يدعو له بالتثبيت وسؤال المغفرة، وهذا يدل على أن المؤمن يوقف على قبره ويدعى له.

[١] ويؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بالحفظة الكرام الكاتبين، وهم ملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم يكتبونها: شرها وخيرها، والملائكة عالم خلقهم الله من نور، ولهم أجنحة، كما قال الله ﷻ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، فهم ذوو أجنحة يطيرون ويصعدون وينزلون، لأن الله أقْدرهم على ذلك، ونحن لا نراهم على صورهم، وقد يأتون في صور آدمية؛ لأننا لا نطيق رؤيتهم على صورهم الملكية، فيأتون على صور رجال؛ لئلا نفزع من رؤيتهم، كما كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه(١).

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال ﷺ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**(٢)، وهم أصناف:

ـ منهم: من هو موكل بحفظ أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٧، ١٨]، فهم يحصون أعمال بني آدم ويدونونها عليهم خيرها وشرها، بأمر الله ﷻ، وهم الكرام الكاتبون، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الإنفطار: ١٠ ـ ١٢]، فهم يكتبون أعمال بني آدم، وهم يتعاقبون علينا بالليل والنهار، فهناك ملائكة يلازمون العبد في النهار ويكتبون ما يصدر منه، وملائكة يكتبون عمل العبد في الليل، في الحديث: **«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ** =

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨).

....

الشَّـرح

= الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١)، ففي صلاة الفجر يصعد الذين باتوا فينا، ويأتي ملائكة النهار، وفي صلاة العصر يصعد الذين كانوا معنا في النهار ويأتي ملائكة الليل، وهكذا دائماً وأبداً؛ ولهذا صلاة الفجر تُطول فيها القراءة، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، فسمى صلاة الفجر قرآناً؛ لأنها تطول فيها القراءة، وقوله: ﴿مَشْهُودًا﴾؛ أي: محضوراً، تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار، وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى وهي أفضل الصلوات، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، تحضرها معنا ملائكة الليل وملائكة النهار.

ـ ومنهم: صنف موكل بحفظ ابن آدم، يحفظونه أن يصيبه شيء، أو أن يعتدي عليه أحد، قال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يحفظون العبد بأمر الله إلى أن يأتي قدر الله المقدر عليه فيتخلون عنه؛ فينفذ فيه ما أراده الله ﷻ، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ ولذلك قد يدخل العبد في مخاطر، وفي أرض هوام وسباع وأرض ثعابين فلا يصيبه شيء؛ لأن معه ملائكة يحفظونه بأمر الله ﷻ، وهؤلاء يسمون المُعقِّبات.

ـ ومنهم: ملائكة موكلون بقبض الأرواح، ورئيسهم ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وله أعوان من الملائكة على قبض الروح وسياق الروح من الجسد، ثم إذا اجتمعت أخذها ملك الموت فقبضها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا =

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥).

وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ[١]، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

الشَّرْح

= جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: الملائكة، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ـ ومنهم: الملك الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل، ينفخ في الصور فيصعق من في السمٰوات ومن في الأرض، فيموتون، ثم ينفخ فيه أخرى فيحيون، فهذه نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

ـ ومنهم: الملك الموكل بالوحي، وهو جبريل عليه السلام.

ـ ومنهم: الملك الموكل بالقطر، وهو ميكائيل عليه الصلاة والسلام.

ـ ومنهم: من ينفذ أوامر الله في السمٰوات والأرض، إذا أمر بالأمر فإن الملائكة تنزل به إلى حيث شاء الله عز وجل وتنفذه في الكون، فكل فريق منهم له عمل خاص موكل به.

[١] أي: ليس معنى كتابة أعمال بني آدم أن الله لا يعلمها، بل الله يعلمها سبحانه وتعالى، وإنما كتابتها لحفظها ليقابل بها العبد يوم القيامة ويقال: هذا عملك، هذه صحيفتك، اقرأ كتابك، فالله لا يعذب على أنه يعلم عمل العبد، وإنما يعذب على وقوع الشيء من الإنسان، فإذا وقع فإن الملائكة تكتبه وتثبته في صحيفة، هذه الصحيفة تُدفع إلى العبد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، تُدفع إليه صحيفته، فإن كان من أهل الخير يأخذها بيمينه، وإن كان من أهل الشر يأخذها بشماله ـ والعياذ بالله ـ فيلقى عمله، ولا ينكر منه شيئاً، وإلا فالله يعلم سبحانه وتعالى، ولكنه لا يعذب الناس على مجرد أنه يعلم ما يفعلون، حتى يفعلوا هم هذا الشيء في الواقع والمشاهد، فهو يعذبهم على أعمالهم أو يكرمهم على أعمالهم.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[١].

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ[٢].

الشَّرْح

[١] **من أصول أهل السُّنَّة والجماعة**: أنهم يعتقدون أن خير القرون؛ أي: خير أجيال الأمة هم جيل الصحابة، والصحابة: جمع صحابي، والصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، فمن آمن بالنبي ﷺ ولم يلقه فليس بصحابي، وإنما هو تابعي، ويشترط أن يستمر على الإيمان حتى يموت، فإن ارتد عن الإسلام فإنه لا يكون صحابيّاً، ويسمى مرتدّاً، فلا بد من هذه الأمور الثلاثة: لقي النبي ﷺ واجتمع به، سواء طال اجتماعه ولقاؤه أو قصر، ويكون مؤمناً به عند اللقاء، وأن يستمر على الإيمان حتى الوفاة، والصحابة خير القرون، بشهادة رسول الله ﷺ، حيث قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، وبعدهم التابعون، وأتباع التابعين، هؤلاء هم خيار الأمة المحمدية، وأفضل من يأتي بعدهم الذين يتَّبِعونهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

[٢] **الصحابة يتفاضلون**؛ مع فضلهم العام الذي انفردوا به عن الأمة، واختصوا به عن الأمة، ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم، فأفضلهم الخلفاء الراشدون، وهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وهم يتفاضلون بينهم، وترتيبهم في الفضل مثل ترتيبهم في =

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١).

وَأَلَّا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ[١]. وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ[٢]، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ[٣].

الشَّرْح

= الخلافة، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم: طلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن الخطاب ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وأبو عبيدة بن الجراح، فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار، ثم الذين أسلموا قبل الفتح، ثم الذين أسلموا بعد الفتح، كل هؤلاء صحابة ولكن يتفاضلون فيما بينهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

[١] **من أصول أهل السُّنَّة والجماعة الثناء على صحابة رسول الله**، وأن لا يُذكر أحد منهم إلا بأحسن الذكر، رضي الله عنهم؛ لأن الله مدحهم وأثنى عليهم ورضي عنهم؛ ولهذا قال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

[٢] **الفتن تقع عليهم وعلى غيرهم**، وقد وقعت على الصحابة وتقع على من جاء بعدهم، ولكن الصحابة أعطاهم الله من الفضل ما لم تؤثر فيهم بسببه الفتنة التي حصلت، والفتنة إذا جاءت فمن الناس من يمسك عنها ولا يدخل فيها، وإما أن يدخل فيها باجتهاد منه لإطفائها، فلا يبحث فيما حدث بين الصحابة بسبب الفتنة إلا على وجه الاعتذار عنهم.

[٣] **الصحابة غير معصومين بالنسبة لأفرادهم**، أما جملة الصحابة فهم معصومون، وإجماعهم حجة، ولكن أفرادهم قد يقع منهم أخطاء تكفر عنهم لعدة أسباب منها أنهم يتوبون إلى الله، وتُكفر عنهم سيئاتهم بفضل صحبتهم، =

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٣).

. . . .

الشَّرح

= وبفضل أعمالهم الجليلة، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» له كلام جميل في هذا يقول: «إنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ»، وهذا كثير، والتاريخ يقع فيه كذب كثير، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ»[1]، وفي الحديث: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[2]، فيغفر لهم بسابقتهم وبفضائلهم وأعمالهم الجليلة.

فقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ)**: فلا يجوز للإنسان أن يشتغل بما حصل بين الصحابة، بل يُغلق هذا الباب نهائياً احتراماً لهم؛ ولأنهم لهم من الفضائل والأعمال الجليلة ما يكفِّر الله به ما يحصل من بعضهم، إن ثبت هذا، مع أن أكثره مكذوب، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، قال شيخ الإسلام ابن =

---

(١) العقيدة الواسطية ص١٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧).

وَالطَّاعَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ[١]،

الشَّرح

= تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ»(١)اهـ. وفي هذه الأمة ثلاثة أمور: الدعاء لهم والثناء عليهم، وطهارة القلوب من بغضهم والألسنة من سبهم، عكس الذين يلعنونهم ويسبونهم ويلتمسون العيوب لهم، مخالفين بذلك أمر الله وأمر رسوله.

[١] هذه المسألة من أصول أهل السُّنَّة والجماعة التي في كتب العقائد التي ألَّفها العلماء في بيان أصول عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وهي السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، لما يترتب على ذلك من المصالح، ويندفع به من المفاسد، فلا بد للمسلمين من الاجتماع على تقوى الله، والعمل بشرعه، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فلا بد من اجتماع المسلمين وعدم تفرقهم، ولا يجتمعون إلا بقيادة منهم، فلا اجتماع إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فذكر ﷻ أن الطاعة تكون لثلاثة:

أولاً: تكون لله ﷻ.

ثانياً: تكون للرسول ﷺ.

ثالثاً: تكون لأولي الأمر، وأولو الأمر: هم أمراء المسلمين، وعلماء المسلمين.

والمصلحة تعود على الجميع، بحيث ينتظم شأنهم، وتقوى جماعتهم، ويهابهم عدوهم، وهذا ما أمر الله به، وأمر به رسوله ﷺ؛ ولما وعظ ﷺ أصحابه موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قالوا: =

(١) العقيدة الواسطية ص١٢.

وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ[١].

الشَّرْح

= يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، هذه وصية الرسول ﷺ لأمته، وهي ما أوصى الله بها في كتابه في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، والرد إلى الله والرسول: هو الرد إلى الكتاب والسُّنَّة، على أيدي العلماء؛ لأن العلماء هم أولو الأمر في العلم، والأمراء أولو الأمر في السلطة، ولا بد للمسلمين من علم وسلطة، فمسائل العلم للعلماء، ومسائل السياسة لأمراء المسلمين، ولا يستقيم أمر المسلمين إلا بهذا؛ في كل زمان ومكان، ولا يستقيم هذا مع إعلان سبهم وتنقصهم والتماس العيوب لهم، وإعلان ذلك للناس؛ لأن هذا يسبب الخروج عليهم وشق عصا الطاعة وتفريق الجماعة، ومن حصل منه خطأ فإنه يُنَاصَح سرّاً بين الناصح والمنصوح.

[١] وكذلك من أصول أهل السُّنَّة والجماعة اتباع السلف الصالح، والسلف الصالح: هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ** =

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩).

....

الشَّرْح

= النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[(١)]، وفي رواية: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[(٢)]، وفي رواية أخرى: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(٣)]، فهؤلاء هم الفرقة الناجية، وهذا الانتساب إلى السلف الصالح ومذهبهم لا بد أن يكون عن معرفة لما عليه السلف الصالح، لا بد أن يكون بمعرفة منهجهم ودراسة ما هم عليه، أما مجرد أن يدّعي الإنسان أنه على منهج السلف الصالح وهو لا يعرف ما هم عليه فهذا لا يكفي، هو يؤجر على نيّته وعلى قصده ولكن هذا لا يكفي، بل يجب معرفة ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه؛ ولهذا الله ـ جلَّ وعلا ـ قيّد، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾؛ يعني: بإتقان، وذلك بمعرفة منهجهم وما هم عليه، حتى يكون الانتساب إليهم انتساباً صحيحاً، فلا يكفي مجرد الانتساب من غير معرفة بمنهجهم؛ ولهذا فإن العلماء ذكروا ذلك في كتب العقائد، فهو من أصول العقائد في هذه العقيدة، وكذا عقيدة الطحاوي، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فالعلماء يذكرون هذا في عقائدهم؛ لأهميته، فهذه مسألة عظيمة، ومنهج مستقيم، لا تصلح الأمة إلا به، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، فالذين يأتون في آخر الأمة ويحبون السلف ويحبون الاقتداء بهم هذا شيء طيب، ولكن لا بد أن يدرسوا عقيدتهم ومنهجهم وما هم عليه حتى يعرفوه على بصيرة ويتمسكوا به؛ لأن هناك من يدس على المسلمين أشياء ويقول هذه من منهج السلف، وهذا عمل السلف؛ ليضلهم، ولكن منهج =

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤٤٤).

....

الشَّرح

= السلف واضح ومدون ـ ولله الحمد ـ ومدروس فليرجع إليه، ويتّبع وينفذ حتى تصلح الأمة ويستقيم أمرها.

ومن حق السلف الصالح علينا من الصحابة والتابعين وممن جاء بعدهم أن نستغفر لهم؛ لأن الله لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة (الحشر)، قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ يعني: المدينة دار الهجرة، وهم الأنصار ﷺ، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد المهاجرين والأنصار، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، ولم يكتف بأنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾، بل قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾؛ يعني: بغضاً وكراهية، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، سلامة قلوبهم من البغض والكراهية؛ لأن الذي يبغض الصحابة ويكرههم هذا منافق وليس بمؤمن، وكذا سلامة ألسنتهم فلا يتكلمون في الصحابة، ولا يتنقصونهم ولا يتلمسون لهم العيوب، وإنما يستغفرون لهم ويترضون عنهم، ويحبونهم، ويقتدون بهم.

هذا منهج أهل السُّنَّة والجماعة مع صحابة رسول الله ﷺ، وهو الاقتداء بهم والسير على منهجهم، وسلامة القلوب من بغضهم، وسلامة الألسنة من سبّهم والقدح فيهم أو في أحد منهم، هذا هو منهج الكتاب والسُّنَّة، ومنهج =

وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ[١] ....

الشَّرح

= أهل السُّنَّة والجماعة، ولا يستقيم أمر الأمة إلا بهذا، أما إذا تنكر المتأخرون لمن سبقهم وأنكروا فضلهم وسابقتهم ورموهم بالجهل والغباوة وغير ذلك، فهذا ضلال وضياع، وعدم تمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؛ لأن الله ـ جلَّ وعلا ـ قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، جميعاً: من أول الأمة إلى آخرها يتمسكون بحبل الله، وهو الكتاب والسُّنَّة، ولا يتفرقون في ذلك، وإن اختلفوا في المسائل الاجتهادية، فإنهم يرجعون إلى الكتاب والسُّنَّة، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فالاختلاف في المسائل الاجتهادية الفقهية لا بد أن يحصل، لكن الذي يضبط المنهج الصحيح هو أن تعرض الأقوال على الكتاب والسُّنَّة، فما وافق الكتاب والسُّنَّة فهو صواب، وما خالفهما فهو خطأ، فيؤخذ بالصواب ويترك الخطأ، ولا نتعصب لقول أحد دون أحد، وإنما علينا أن نزن أقوال المختلفين من قبلنا أو المعاصرين لنا على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فما وافق الكتاب والسُّنَّة فهو صواب، وما خالفهما فهو خطأ، وإن كان صاحبه ما قصد الخطأ، لكن طريقته خطأ، قال ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١)، أجر على اجتهاده، والخطأ مغفور ولله الحمد، وإنما التعصب للقول أو للشخص أو للمذهب من غير دليل هذا هو المذموم، بل هذه عصبية جاهلية ولا تجوز، فالواجب أن المؤمن يزن أقواله وأفعاله وتصرفاته بالكتاب والسُّنَّة، إذا كان يحسن هو الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، فالحمد لله، وإلا فليسأل أهل العلم؛ ليبينوا له الخطأ من الصواب، هذا هو المنهج السليم لهذه الأمة، ولا تصلح هذه الأمة إلا بذلك.

[١] من أصول أهل السُّنَّة والجماعة ترك المراء والجدل، فالهدف هو =

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢).

وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ[١].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نبيِّه، وَعَلَى آلِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً[٢].

الشَّرْح

= الحصول على الحق، وأما أننا نتجادل ونشغل أوقاتنا ونستهلك طاقاتنا في الجدال العقيم والانتصار لقول فلان وعلان فهذا يضر ولا ينفع، والدين ليس فيه مراء ولا جدل، الدين هو الكتاب والسُّنَّة وليس فيه اختلاف ولا مراء ولا جدل، ولا يحسم هذا إلا الكتاب والسُّنَّة، ولا يستفيد من الكتاب والسُّنَّة إلا أهل العلم فيُسألون عن ذلك، فيرجع إلى أهل العلم.

[١] كل ما أحدثه المحدثون بعد السلف الصالح من الأقوال والأفعال والعقائد، فإذا كان ذلك مخالفاً للكتاب والسُّنَّة وما عليه سلف هذه الأمة فلا بد من تركه، وليس في هذا غضاضة على من أخطأ أن يرجع إلى الصواب، بل هذا فضيلة له، فالرجوع إلى الحق فضيلة.

[٢] ختم هذه الرسالة القيِّمة بخير ختام بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ؛ لوجوب الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذا من حقه علينا ﷺ أن نصلي ونسلم عليه عند ذكره، وعندما نكتب كتاباً فإننا نختمه بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ، وفي التشهد الأخير من الصلاة نصلي ونسلم عليه، وهذا من أركان الصلاة، ولا يكفي أنك تكثر الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، ولا تتبعه، بل لا بد من اتباعه؛ لأن بعضهم يقول: أريد الأجر فأصلي وأسلم عليه، وهذا يكفي، والناس أحرار في عقائدهم!، والناس أحرار في آرائهم!، وحرية الكلمة!.. إلى آخره.

لا يا أخي أنت عبد لله عَزَّ وَجَلَّ، فتمتثل أمر ربك، أنت لست حرّاً بمعنى =

....

الشَّرْح

= أنك تفعل ما تشاء، أنت حر بمعنى أنك لا تأخذ المناهج والأقوال على علَّتها، أنت حر أن تميز بينها وتأخذ الصحيح، وتترك الخطأ، هذه الحرية الصحيحة، الحرية الصحيحة باتباع الكتاب والسُّنَّة؛ لأنهما يحرران منهج السلف من الأفكار الخبيثة والأفكار الضائعة، وأعظم ذلك التحرر من الشرك، ومن البدع والمخالفات، فهذه الحرية الصحيحة، وليست الحرية أنك تنطلق على حسب هواك وتزكي نفسك؛ هذه ليست بحرية، هذه بهيمية وهي عينة الاستعباد، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، هذه عبد لهواه، فاتخذ معبوده هواه، فما يسوغ هواه يأخذ به، وما يخالف هواه يرفضه كاليهود، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، لِمَ ذلك؟ لأنهم يردونهم إلى الحق، وهم يريدون الانطلاق إلى أهوائهم.

فالحرية الصحيحة هي اتباع الكتاب والسُّنَّة؛ لأنهما يحرران العقول ويحرران العبيد من الأهواء ومن الشهوات ومن الأفكار ومن الآراء الضالة والشاذة؛ بل يحرران الناس من عبادة الأشجار والأحجار والشيطان والطواغيت، وهذه هي الحرية الصحيحة، تكون باتباع الكتاب والسُّنَّة، وأما مخالفة الكتاب والسُّنَّة فهذه عبودية وليست حرية، فيكونون عبيد أهوائهم، وعبيد أفكارهم ورغباتهم، وعبيد من قلَّدوهم على ضلال.

وبعد أن صلَّى وسلَّم على الرسول ﷺ صلَّى وسلَّم على آله وهم: المؤمنون من قرابته ﷺ، الذين تحرم عليهم الزكاة، وهم آل العباس، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، فهؤلاء هم قرابة الرسول ﷺ، وهم آله، وكذلك من آله: أتباعه على دينه، فكل من اتبع الرسول ﷺ وآمن به فإنه من آله، ولكنه ليس من قرابته، فالآل على قسمين: القرابة، والأتباع الذين على دينه، والقرابة جمعت بين فضيلتين: فضيلة القرابة وفضيلة الإيمان، أما غير القرابة =

....

الشَّرح

= فأخذ فضيلة الاتباع والإيمان فقط؛ وأصحابه داخلون في الآل بمعنى الأتباع، ولكنه ذكرهم على انفراد لأجل الاهتمام بحقهم ﷺ؛ لكونهم صحابة رسول الله ﷺ الذين آمنوا به وآزروه ونصروه وجاهدوا معه، فهم لهم الفضل على هذه الأمة، ففضل الصحبة فضل لا يدركه غيرهم مهما عظم الإيمان والتقوى ممن جاء بعدهم فلن يصل إلى درجتهم؛ لأن معهم درجة الصحبة للرسول ﷺ، فهم أفضل هذه الأمة؛ لصحبتهم لرسول الله ﷺ، ولا يشاركهم غيرهم في ذلك.

وزوجاته أمهات المؤمنين من آل رسول الله ﷺ، ومن أهل بيته، قال الله ﷻ مخاطباً زوجات النبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]، وهذه الأوامر تشترك فيها النساء المؤمنات؛ فالقرار في البيوت لنساء المؤمنين، والحجاب لنساء المؤمنين، وإن كان أصل الخطاب لنساء الرسول ﷺ، فهن القدوة، فإذا كانت نساء الرسول ﷺ مأمورات بالحجاب ومأمورات بتجنب التبرج وهو التزين عند الخروج، والتطيب ومأمورات بالقرار في البيوت، ومأمورات بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومأمورات بطاعة الله ورسوله، فكذلك نساء الأمة؛ لأن نساء الرسول ﷺ هن القدوة لنساء المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾، الرجس هي نجاسة المعاصي والذنوب، ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾، فدل على أن نساء الرسول ﷺ من أهل بيت الرسول ﷺ، وليس بيت الرسول خاصاً بقرابة الرسول؛ بل أزواجه من أهل بيته؛ لأن الخطاب موجه لهن.

وذرية الرسول ﷺ بناته من خديجة ﵂، وأولاد فاطمة؛ لأن أولاد =

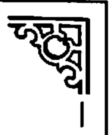
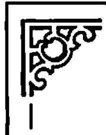
....

الشَّرْح

= فاطمة أولاد للرسول ﷺ؛ لأنه جدهم، فأولاد فاطمة وأولاد أولادهم ونسلهم كلهم من أولاد الرسول ﷺ، لهم القَدْر والمكانة إذا هم اتبعوه وآمنوا به، ولا يكفي أنهم من قرابة الرسول؛ فأبو لهب هو عم الرسول ﷺ، ولكن لما كان كافراً لم ينفعه ذلك، لم تنفعه القرابة؛ فالقرابة وحدها لا تكفي، بل لا بد من القرابة مع الإيمان بالرسول ﷺ، فالذي يقول: أنا من قرابة الرسول ولا يتبعه ليس من آله، وإن كان من قرابته، فليست كل قرابة الرسول من آله.

هذا آخر التعليق على هذه العقيدة التي تضمنتها مقدمة الإمام الشيخ ابن أبي زيد والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبهذا تم الشرح.



نظم مقدمة الرسالة

للشيخ أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي المالكي

المتوفى سنة (١٢٨٥هـ)

الحمدُ للَّه حمداً ليس مُنحصرَا ... على أياديه ما يخفى وما ظهرَا

ثم الصلاةُ وتسليمُ المهمينِ ما ... هبَّ الصبَّا فأدرَّ العارضُ المَطرَا

على الذي شاد بنيانَ الهُدى فسَما ... وساد كلَّ الوَرَى فخراً وما افتخرَا

نبيِّنا أحمد الهادي وعِتْرته ... وصحبِهِ كلِّ مَن آوى ومن نصرَا

وبعدُ فالعلمُ لم يظفر به أحدٌ ... إلَّا سَمَا وبأسباب العُلى ظفرَا

لا سيما أصل علم الدِّين إنَّ به ... سعادةَ العبد والمنْجَى إذا حُشرَا

باب ما تعتقده القلوب وتنطق به الألسنُ من واجب أمور الديانات

وأولُ الفرض إيمانُ الفؤادِ كَذا ... نُطقُ اللِّسانِ بما في الذِّكر قد سُطرَا

أنَّ الإلٰـهَ إلٰـهٌ واحدٌ صَمَد ... فلا إلٰـه سوى مَن للأنام برَا

ربُّ السمٰوات والأرضين ليس لنا ... ربٌّ سواه تعالى مَن لنا فطرَا

وأنهُ موجدُ الأشياء أجمعها ... بلا شريكٍ ولا عونٍ ولا وُزرَا

وهو المنزه عن ولد وصاحبة ... ووالد وعن الأشباه والنُّظرَا

لا يبلغن كُنْه وصف اللَّه واصفه ... ولا يحيط به علماً مَن افتكرَا

وأنه أوَّل باق فليس له ... بدءٌ ولا منتهى سبحان مَنْ قدرَا

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له ... فردٌ سميعٌ بصيرٌ ما أراد جرَى

وأنَّ كرسيه والعرش قد وسعا ... كلَّ السمٰوات والأرضين إذ كبرَا

ولم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا … بذاته فاسأل الوحيين والفطرَا
إنَّ العلوَّ به الأخبارُ قد وردتْ … عن الرَّسول فتابِع مَن رَوى وقرَا
فاللَّه حق على المُلك احتوى وعلى الـ … ـعرش استوى وعن التكييف كُن حَذِرَا
واللَّه بالعلمِ في كلِّ الأماكن لا … يخفاه شيءٌ سميعٌ شاهدٌ ويرَى
وأنَّ أوصافَه ليست بمُحدَثةٍ … كَذَاك أسماؤه الحُسنى لِمَن ذكرَا
وأن تنزيلَه القرآنَ أجمعَه … كلامُه غيرُ خلق أعجز البشرَا
وحَيٌّ تكلَّم مولانا القديمُ به … ولم يزل من صفات اللَّه مُعْتبرَا
يُتلَى ويُحمل حفظاً في الصدور كما … بالخطِّ يُثبِتُه في الصُّحف مَن زَبَرَا
وأن موسى كليمُ اللَّه كلَّمه … إلـٰـهُهُ فوق ذاك الطور إذ حضرَا
فاللَّه أسمعه من غير واسطة … من وصفه كلمات تحتوي عِبرَا
حتى إذا هام سُكراً في محبَّته … قال الكليم: إلـٰـهي أسأل النَّظرَا
إليك. قال له الرحمٰن موعظة … أنَّى ترانِي ونوري يُدهشُ البصرَا
فانظر إلى الطور إن يثبت مكانته … إذا رأى بعضَ أنواري فسوف ترَى
حتى إذا ما تَجلى ذو الجلال له … تصدَّع الطورُ من خَوف وما اصطبرَا

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشره

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها … إيمانُنا واجبٌ شرعاً كما ذكرَا
فكلُّ شيء قضاه اللَّهُ في أزَل … طرّاً وفي لوحه المحفوظ قد سطرَا
وكلُّ ما كان من همٍّ ومن فَرح … ومن ضلال ومن شكران مَن شكرَا
فإنَّه من قضاء اللَّه قدَّره … فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القدرَا
واللَّه خالقُ أفعال العباد وما … يجري عليهم فعن أمر الإلـٰـه جرَا
ففي يديه مقادير الأمور وعن … قضائه كلُّ شيء في الورى صدرَا
فمَن هَدى فبمحض الفضل وفَّقه … ومن أضلَّ بعدل منه قد كفرَا
فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوى … ما شاءه اللَّه نفعاً كان أو ضررَا

فصل في عذاب القبر وفتنته

ولم تَمُت قطُّ من نفس وما قُتلت … من قبل إكمالها الرِّزق الذي قُدِرَا
وكلُّ روح رسولُ الموت يقبضُها … بإذن مولاه إذ تستكمل العُمُرَا
وكلُّ من مات مسؤولٌ ومفتتنٌ … من حين يوضعُ مقبوراً ليُختبرَا
وأنَّ أرواحَ أصحاب السعادة في … جنَّات عدن كطير يعلق الشَّجَرَا
لكنَّما الشُّهدا أحيا وأنفسهم … في جوف طير حسان تُعجب النَّظَرَا
وأنَّها في جنان الخلد سارحةٌ … من كلِّ ما تشتهي تجني بها الثَّمرَا
وأنَّ أرواح من يشقى معذَّبةٌ … حتَّى تكون مع الجُثمان في سَقَرَا

فصل في البعث بعد الموت والجزاء

وأنَّ نفخةَ إسرافيلَ ثانيةً … في الصُّور حقٌّ فيحيا كلُّ مَن قُبرَا
كما بدا خلقَهم ربِّي يُعيدُهم … سبحان من أنشأ الأرواحَ والصُّوَرَا
حتى إذا ما دعا للجمع صارخُه … وكلُّ ميْت من الأموات قد نُشرَا
قال الإلٰـه: قِفوهم للسؤال لكي … يقتصَّ مظلُومُهم مِمَّن له قَهَرَا
فيوقَفون ألوفا من سنينهمُ … والشمسُ دانيةٌ والرَّشْحُ قد كثُرَا
وجاء ربُّك والأملاكُ قَاطبةً … لهم صفوفٌ أحاطت بالورى زُمرَا
وجيء يومئذ بالنار تسحبُها … خزانها فأهالت كلَّ مَن نظرَا
لها زفيرٌ شديدٌ من تغيظها … على العُصاة وترمي نحوهم شرَرَا
ويرسل اللَّه صُحف الخلق حاويةً … أعمالَهم كلَّ شيء جلَّ أو صغُرَا
فمَن تلقَّته باليمنى صحيفتُه … فهْو السَّعيد الذي بالفوز قد ظفرَا
ومن يكن باليد اليسرى تناولها … دعا ثُبوراً وللنيران قد حُشرَا
ووزنُ أعمالهم حقٌّ فإن ثقلت … بالخير فاز وإن خفَّت فقد خسرَا
وأنَّ بالمثل تُجزى السيِّئات كما … يكون في الحسنات الضِّعف قد وفرَا
وكلُّ ذنب سوى الإشراكِ يغفرُه … ربِّي لِمَن شا وليس الشركُ مُغتفرَا
وجنَّة الخُلد لا تفنى وساكنُها … مخلَّدٌ ليس يخشى الموتَ والكبرَا
أعدَّها اللَّهُ داراً للخلود لِمَن … يخشى الإلٰـهَ وللنَّعماء قد شكرا

ويـنـظـرون إلـى وجـه الإلـٰـه بـهـا كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا
كـذلـك الـنـارُ لا تـفـنـى وسـاكـنُـهـا أعـدَّهـا الـلَّـه مـولانـا لـمَـن كـفـرَا
ولا يُــخــلَّــد مَــنْ يــوَحِّــدُه ولو بسفك دم المعصوم قد فَجَرَا
وكم يُنجي إلـٰـهي بالشفاعة مِنْ خير البريَّة من عاص بِها سجرَا

فصل في الإيمان بالحوض

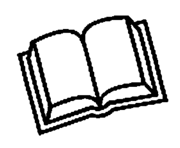
وأنَّ لـلـمـصـطـفـى حـوضاً مـسـافـتُـه ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذُكرَا
أحلَى من العسل الصافي مذاقتُه وأنَّ كِـيـزَانَـه مـثـلُ الـنـجـوم تُـرَى
ولـم يَـرِدْه سـوى أتـبـاع سُـنَّـتـه سيماهم: أن يرى التَّحجيل والغُرَرَا
وكـم يُـنـحَّـى ويُـنـفَـى كـلُّ مبتدع عـن وِرْدِه ورجـالٌ أحـدثـوا الـغـيـرَا
وأن جسراً على النِّيران يَعبُرُه بسرعة مَن لمنهاج الهُدى عبَرَا
وأنَّ إيْـمَـانَـنـا شـرعـاً حـقـيـقـتُـه قـصـدٌ وقـولٌ وفـعـلٌ لـلـذي أمـرَا
وأنَّ مـعـصـيـةَ الـرحْـمٰـن تُـنـقـصُـه كـمـا يـزيـد بـطـاعـات الـذي شَـكَـرَا
وأنَّ طـاعـةَ أولـي الأمـر واجـبـةٌ من الـهُـداة نـجـوم الـعـلـم والأُمـرَا
إلَّا إذا أمـروا يـومـاً بـمـعـصـيـة من المعاصي فيُلغى أمرهم هَدَرَا
وأنَّ أفـضـلَ قـرن لـلَّـذيـن رأوا نـبـيَّـنـا وبـهـم ديـنُ الـهُـدى نُـصـرَا
أعنِي الصحابةَ رُهبانٌ بليلهمُ وفي النهار لدى الهيْجَا لُيوث شَرَى
وخيرُهم مَن ولِي منهم خلافته والسَّبق في الفضل للصِّدِّيق مع عُمَرَا
والتابعون بإحسان لهم وكذا أتباع أتباعهم مِمَّن قفا الأثَرَا
وواجبٌ ذِكرُ كلّ من صحابته بالخير والكفُّ عمَّا بينهم شَجَرَا
فلا تخُض في حروب بينهم وقعت عن اجتهاد وكنْ إن خُضتَ معتذِرَا
والاقتداءُ بهم في الدِّين مفترَضٌ فاقْتد بهم واتَّبع الآثار والسُّوَرَا
وتركُ ما أحدثه المُحدِثون فكم ضلالة تبعت والدِّين قد هُجِرَا
إنَّ الهُدى ما هدى الهادي إليه وما بـه الـكـتـاب كـتـاب الـلَّـهِ قـد أمَـرَا
فلا مراء وما في الدِّين من جدلٍ وهـل يُـجـادل إلَّا كـلُّ مَـن كـفـرَا
فهاك في مذهب الأسلاف قافيةً نظماً بديعاً وجيزَ اللَّفظ مختصرَا

يحوي مهمّات باب في العقيدة من ... رسالة ابن أبي زيد الذي اشتهرَا
والحمد للّه مولانا ونسأله ... غفران ما قلَّ من ذنب وما كثرَا
ثمَّ الصلاةُ على مَن عمَّ بعثته ... فأنذر الثَّقلين الجنّ والبَشَرَا
ودينُه نَسَخ الأديانَ أجمَعَها ... وليس يُنْسَخُ ما دام الصَّفَا وحِرَا
محمد خير كلِّ العالَمين ... به ختم النبيِّين والرُّسل الكرام جَرَا
وليس من بعده يوحَى إلى أحد ... ومن أجاز فحَلَّ قتلُه هَدَرَا
والآلِ والصَّحبِ ما ناحت على فنَن ... وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّة سَحَرَا



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشيخ صالح آل الفوزان	٥
مقدمة المعتني	٧
نص مقدمة الرسالة	١١
نظم مقدمة الرسالة	٩٥



مفكرة



✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

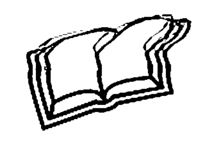
✍

✍

✍

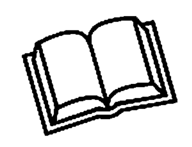
✍

✍



مفكرة





مفكرة



✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

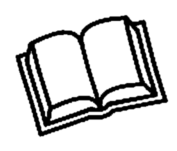
✍

✍

✍

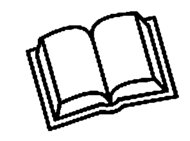
✍

✍



مفكرة





مفكرة



✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

✍

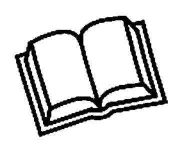
✍

✍

✍

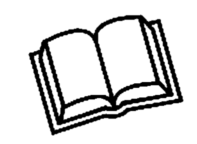
✍

✍



مفكرة





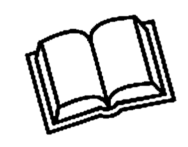
مفكرة





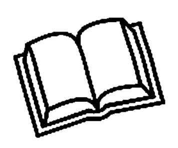
مفكرة





مفكرة





مفكرة

